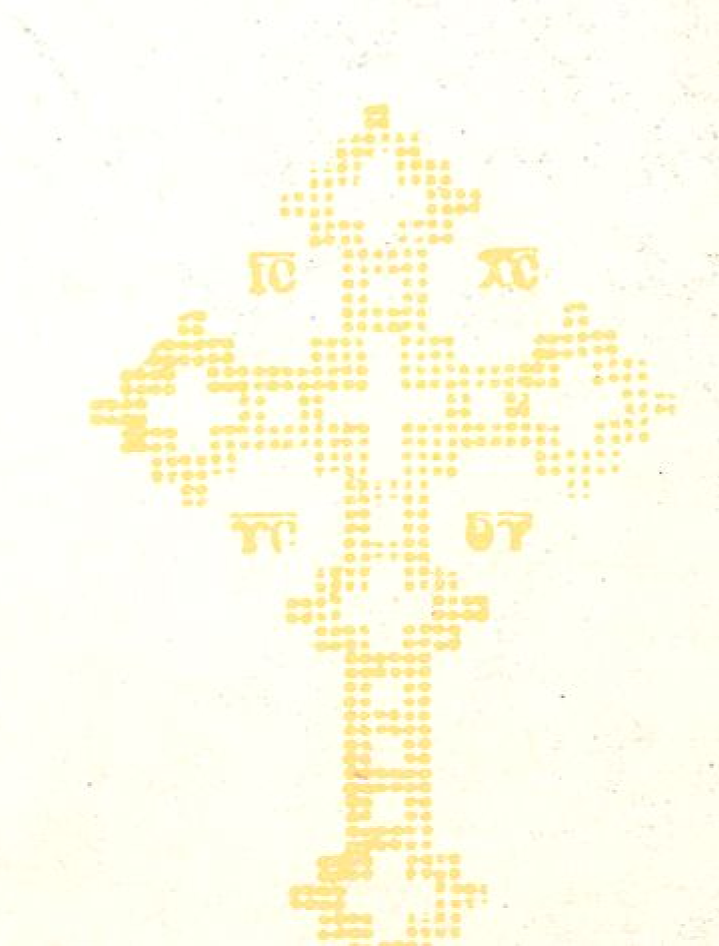
تأملات

فى سفر إشعياء

٤

الأصحاحات من ٢٢ إلى ٢٨





كنيسة مارجرجس باسبورتنج

تأمـــلات

فى سفر إشـعياء

٤

الأصحاحات من ٢٢ إلى ٢٨

القس

لوقا سيداروس

١٩٨٧ م



قداسة البابا شنوده الثالث

مقـــدمة

سفر إشعياء هو إنجيل الخلاص فى العهد القديم تستطيع عند قراءته بالهام الروح القدس أن تتقابل وجهاً لوجه مع الرب يسوع مخلص البشرية . تتقابل معه من أول ميلاده إلى صلبه وقيامته وحلول روحه القدوس . فليس فى الكتاب المقدس اعلان عن ميلاد السيد المسيح واسمائه العجيبة بقدر ما أعلن إشعياء . وليس فى الكتاب المقدس مواجهة مع الصليب بصورة أروع مما سجل إشعياء . أما مياه الروح القدس ـ مياه الخلاص التى نادى المسيح عنها فى يوم العيد العظيم قائلاً: « **إن عطش أحد فليقبل إلىّ** » فهذه سجلها العظيم فى الأنبياء إشعياء فى ابهج صورة مفرحة فى الأصحاح (٥٥) .

وحديث إشعياء عن التوبة والصوم والاتضاع والصلاة والفرح هى أعمق ما سُجل فى الكتاب المقدس ... فمفاهيم الصوم روحية عميقة (٥٨) ، والاتضاع يكشف عن طبيعة الإنسان فى عمق روحى ، والتوبة هى طريق الالتقاء بالمخلص وهى صوت

إشعياء طوال السفر.

أية خسارة جسيمة تعود على المسيحى الذى يهمل قراءة هذا السفر فاقرأه ككنز غنى وكنهر تنهل من مائه الحى.

ولقد كانت المكتبة القبطية يعوزها جداً دخول أبنائها إلى شرح هذا السفر والكشف عن كنوزه وأسراره ونشكر الله أن يخرج هذا الجزء كباكورة لبركة كبيرة يقدمها الأب لوقا سيداروس. الله قادر أن يتمجد فى الكتاب وفى حياة قرائه وكاتبه لحساب ملكوته آمين ،،،

القمص بيشوى كامل

الأصحاح ٢٢

مقـــدمـة :

يعود الروح فينطق بفم إشعياء النبى كلمات نبوية على أورشليم ... وفى يوم إفتقاد ذنوبها ... منذراً بخرابها والويلات التى ستحل بشعبها وبجليس الملك المتمتع بالسلطان والأمان ..، وتكشف النبوات عن العمى الروحى الذى يصيب شعب أورشليم فى ذلك الوقت فلا يميزون صوت الرب ولا يعرفون إرادته ، فهو فى أيام تأديبهم يدعوهم إلى البكاء والنوح والتنطق بالمسوح (ع ١٢) فإذا بهم فى تلك الأيام عينها يعيشون فى بهجة وفرح وذبح وأكل لحم وشرب خمر، ولسان حالهم يقول : « لنأكل ونشرب لأننا غداً نموت » .

فإذا عبر زمان التوبة والبكاء ولم يعرف الشعب زمان إفتقاده ، فبالتأكيد سوف يجنى مر الثمر ويكابد عقاب دينونة مخيف .

على أننا تعودنا فى نبوات إشعياء أن نسمع رنات الرجاء المفرح

تولد بعد أقسى الكلمات والتهديدات ، وشعاع النور ينبثق من داخل قبر الظلام ... فنمجد ونشكر صانع الخلاص الذى أعطانا رجاءً صالحاً بالنعمة ، وأقام لنا فى كل قرن خلاص .

على هذا تنتهى نبوات هذا الأصحاح بظهور المخلص بصورة جلية ، لابساً ثوبه الملوكى فى بيت داود ، ومتمنطقاً بالحق ، وسلطانه فى يده كأب لسكان أورشليم ومفتاح بيت داود على كتفه (أى الصليب) فيفتح ولا أحد يغلق و يغلق ولا أحد يفتح .

١ - وحى من جهة وادى الرؤيا . فما لكِ أنكِ صعدتِ جميعاً على السطوح .

٢ - يا ملآنة من الجلبة المدينة العجاجة القرية المفتخرة ، قتلاكِ ليس هم قتلى السيف ولا موتى الحرب .

٣ - جميع رؤسائكِ هربوا معاً . أسروا بالقسى . كل الموجودين بك أسروا معاً . من بعيد فروا .

٤ - لذلك قلتُ إقتصروا عنى فأبكى بمرارة . لا تُلحوا بتعزيتى عن خراب بنت شعبى .

+ ترى ماذا يقصد الروح عندما يدعو أورشليم بوادى الرؤيا ؟

أليست هى مدينة الآباء ، الذين تمتعوا برؤية الله ، مثل إبراهيم وموسى وصموئيل وإيليا و ... إلخ وفيها الهيكل داخله قدس أقداس الله حيث يتراءى مجد الله فى الشاكيناه ، وحيث الناموس والشريعة والعبادات التى تتجلى فيها علاقة الله بشعبه !!

لذلك يدعوها الوحى بوادى الرؤيا لعله يوقظ فيها البصيرة التى إنطمست . إن أورشليم ذاهبة فى مسالك العالم ، ولو أن النبوات هنا تخبر بخرابها ولكنه كما قال لها الرب يسوع : « أخفى عن عينيكِ » (لو١٩ : ٤٢) .

لم تعد بعد وادى للرؤيا ، ولكن لفها الظلام ... إذ لم تعرف زمان إفتقادها (لو١٩ : ٤٤) ولكنها فى محاولة للرؤيا البشرية « صعدت على السطوح » لعلها تستطلع شيئاً من أمرها ولكن ليس هكذا تأتى الرؤيا بحسب الله ، فإعلانات الله لا تأتى إلاّ للمتضعين ، « إلى هذا أنظر إلى المسكين والمنكسر الروح والمرتعد من كلامى » .

+ قد يعنى أنها صعدت على السطوح ، أى إنجرفت فى تيار المظهرية الكاذبة وصار ليس لها عمق أصل ، وأصبحت كما يقول المزمور عن الأشرار أنهم مثل عشب السطوح الذى ييبس قبل أن يقطع .

وهكذا يناديها الوحى ، يا ملآنة من الجَلَبَة المدينة العجاجة القـرية المفتخرة وكل هذه سطحيات غاشة ومظاهر عالمية وإفتخار باطل ، إن أورشليم هى مدينة الملك العظيم ، فيجب أن يكون الرب هو متكلها وافتخارها ، ويجب أن تظهر أمام الرب فى زينة مقدسة ، أما أن تجارى أهل العالم وتفتخر بأموره فهذا يحسب لها عاراً وخزياً .

قتلاكِ ليس هم قتلى السيف ولا موت الحرب :

قبل أن يأتى السيف على أورشليم و يقتل رجالها وفخر شبانها بحسب الجسد ، كانوا قد طعنوا أنفسهم بأوجاع محبة العالم وفصلوا أنفسهم عن مصدر حياتهم فصاروا أمواتاً بالذنوب والخطايا .

فاشعياء النبى نظر إلى أورشليم قبل السبى ، فوجد جميع رؤسائها أسرى الخطية ، وفى حالة خوف ورعب « يهربون ولا طارد لهم » فروا من بعيد . لقد وقعوا وإنكسروا مغلوبين من الشهوات والنجاسات والدنس ، والظلم وعدم المحبة . لقد سقطوا صرعى الخطية التى طرحت كثيرين جرحى وكل قتلاها أقوياء .

دموع الأنبياء :

ما من أحد من عبيد الله الأنبياء تمر أمامه صورة هذا الشعب

إلاَّ وتصير له دموعه خبزاً نهاراً وليلاً .

إسمع ارميا النبى يقول : « يا ليت رأسى ماء وعينى ينبوع دموع فأبكى نهاراً وليلاً قتلى بنت شعبى » (إر٩ : ١) .

وها إشعياء النبى يقتبس كلمات أيوب المُجَرب فيقول « إقتصروا عنى فأبكى بمرارة ، لا تُلحوا بتعزيتى عن خراب بنت شعبى » .

أليست هذه هى دموع رب المجد يسوع وهو منحدر من جبل الزيتون ... حينما رأى أورشليم غارقة فى لجج الخطية .. « نظر إلى المدينة وبكى عليها » (لو١٩ : ٤١) .

إن كل مَنْ صار خادماً ليسوع المسيح ، لا يستطيع أن يضبط قوه أمام منظر النفوس الخاطئة عندما تتمادى فى الشر ويرى الخادم فيها بعين النبوة الشيطان وقد أحدق بهذه النفوس بمترسة ليهدمها حتى لا يبقى حجر على حجر .

٥ ـ إن للسيد رب الجنود فى وادى الرؤيا يوم شغبٍ وَدَوسٍ وارتباك . نقب سُور وصراخ إلى الجبل .

٦ ـ فعيلام قد حملت الجعبة بمركبات رجال فرسان . وقيرُ قد كشفت المجن .

٧ ـ فتكون أفضل أوديتك ملآنة مركبات والفرسان تصطف إصطفافاً نحو الباب .

٨ ـ ويكشف سِتر يهوذا فتنظر فى ذلك اليوم إلى أسلحة بيت الوعر.

ترى ما هو سبب كل هذه البلايا من شغب ودوس وصراخ وارتباك وحيرة ؟ وما هو سبب إنكسار يهوذا أمام أعدائه ومعاناته المذلة والعار؟

هل هو فى قوة الأعداء وشدة رجال الحرب ؟
هل هو فى عدد فرسان العدو وكثرة مركباته ؟

كلا بالحقيقة ... إن السبب الرئيسى والوحيد لإنكسار يهوذا كما تكشفه هذه النبوات هو فى « كشف ستر يهوذا » .

فيهوذا أصلاً يعيش فى ستر العلى « الساكن فى ستر العلى فى ظل الإله القدير يبيت » . هذا هو سبب الحفظ فى يهوذا والنجاة فى أورشليم . كأن الرب يحوطها كما تحوط الجبال « الجبال حولها والرب حول شعبه » .

وكانت أوشليم تقول : « شماله تحت رأسى ويمينه تعانقنى » . وحبيب الرب يسكن لديه آمناً ... يستره طول النهار

بين منكبيه يبيت ؛ وداود النبى هو ملك أورشليم إختبر هذا جيداً وقال فى المزامير: « فأسكن فى مسكنك واستظل بستر جناجيك » (مز٦٠) ، « فى يوم شدتى سترنى بستر مظلته » (مز٢٦) .

وهنا يصير كشف الستر تعبيراً عن تخلى النعمة ومفارقة روح الرب وهذا هو النزول إلى حضيض الإنكسار والهوان .

ولكن هل يؤول هذا إلى خلاص ؟ عندما تجد أورشليم نفسها عارية من ثوب النعمة ، ومن ستر القدير وظل جناحيه ؟ هل تعود فتطلب أن تحتمى فيه وتدخل تحت ظل جناحى صليبه ؟

يا للأسف فإنها بدلاً من أن تفعل ذلك وتلتفت إلى إلهها بدأت تلجأ إلى تأمين نفسها ولم شمل قواتها ومصادر الماء وتحصين الأسوار المادية البحتة ...

٩ ـ ورأيتهم شقوق مدينة داود أنها صارت كثيرة وجمعتم مياه البركة السفلى .

١٠ ـ وعددتم بيوت أورشليم وهدمتم البيوت لتحصين السور.

١١ ـ وصنعتم خندقاً بين السورين لمياه البركة العتقية . لكن لم نتظروا إلى صانعِة ولم تررا مُصوره من قديم .

+ عندما كشف ستر يهوذا ، نظروا إلى أسلحة بيت الوعر (جزء من بيت سليمان) وبدأوا يراجعون ثغرات سور أورشليم ووجدوا أن فتحاته وشقوقه كثيرة . و ياليتهم أدركوا روحياً ما قاله سليمان الحكيم فى النشيد : « خذوا لنا الثعالب الثعالب الصغيرة المفسدة للكروم » (نش ٢ : ١٥) ... التى تدخل فى هذه الشقوق الكثيرة ... لقد إنحصروا فى السطحيات فى فكرهم و بصيرتهم فلم يروا غير هذه المظاهر المادية ... وكان أجدى بهم أن يذكروا كلام الرب « على أسوارك يا أورشليم أقمت حراساً لا يسكتون كل النهار » ، « على كفى نقشتكِ ... أسوارك أمامى دائماً » .

إن الناظر إلى الأسوار المنهدمة تعوزه دائماً روح نحميا الغيور روح الصوم والصلاة والبكاء والمناداة « هلم نبنى أسوار أورشليم ولا نكون بعد عاراً » .

وإشعياء النبى يكشف كل هذا . إن رجال يهوذا إهتموا أن ينظروا و يلاحظوا كل شيء لتأمين أورشليم ونسوا أن يعملوا شيئاً واحداً « لم ينظروا إلى صانعه ، ولم يروا مُصوره » . و ياليتهم نسوا كل شيء ونظروا إليه وحده ، لأن جميع الذين نظروه إستناروا ووجوههم لم تخجل .

١٢ ـ ودعا السيد رب الجنود فى ذلك اليوم إلى البكاء والنوح والقرعة والتنطق بالمسح .

١٣ ـ فهوذا بهجة وفرح ذبح بقر ونحرُ غنم أكل لحم وشرب خمر. لنأكل ونشرب لأننا غداً نموت .

١٤ ـ فأعلن فى أذنى رب الجنود لا يُغفرن لكم هذا الاثم حتى تموتوا يقول السيد رب الجنود .

+ هذه مناداة أخيرة للتوبة والرجوع إلى الله . لعل الله يرجع عن حمو غضبه و يندم على الشر و يتراءف على شعبه و يشفق ولا يسلم ميراثه للعار. ياللمراحم الإلهية الصادقة ، الله لا يشاء موت الخاطىء . إنه محب البشر، ولكن هل تسمع أورشليم لصوت عريسها فترجع عن طريقها الردية وتطلب الرب فيوجد لها . هل تلتجىء إليه فيخلصها ، أم تظل فى زيغانها عنه ؟

دعا السيد الرب الشعب إلى البكاء والنوح ، هذا هو طريق النجاة ، إن الدموع والصراخ إلى المراحم الإلهية هى ملجأ القديسين ، الدموع والتوبة خلصت أهل نينوى الوثنيين ورفع الرب غضبه عنهم ، دموع داود وصراخه أمام الرب خلصت الشعب من المهلك ، دموع نحميا وصراخ الشعب معه وبكاؤهم رفعت أورشليم

من الخراب والمذلة ، فطفقوا يقولون بروح عالية « هلم نبنى أسوار أورشليم ولا نكون بعد عاراً » (نح ٢ : ١٧) ، « إله السماء يعطينا النجاح ونحن عبيده نقوم ونبنى » (نح ٢ : ٢٠) .

إن السيد الرب يدعوهم إلى « الحزن الذى بحسب مشيئة الله » ولكنهم فضلوا أن يتنعموا بالخطية ساعة ، و يفرحوا فرحاً مؤقتاً ، وحسبوا تنعم اليوم لذة ...

إن نفوس كثيرة تسلك هذا المسلك العجيب فى أمر خلاصها ... فهم يلجأون إلى طرق وحيل للتغطية ومغالطة الضمير، و يدعون إلى محاولة للنسيان وعدم مواجهة النفس ، وفى محاولاتهم يتفننون فى أسباب الفرح والتهريج والأكل وشرب الخمر لعلهم ينسون همومهم أو يفرجون عن أنفسهم ، أو لعلهم يهربوهن ولو بعض الوقت من الوقوف على حقيقة أمرهم ...

ولكن أين يهرب الإنسان من روح الله ؟ وكيف ينجو من الدينونة ؟ جيد للإنسان أن يبكى هنا ... و يتوب و يقرع صدره ، يحزن و يكتئب ، يتحول ضحكه إلى غم وفرحه العالمى إلى حزن مقدس ، فيحوز رضا الله ، و يفرح قلب الملائكة السمائيين .

أما أن يرفض الإنسان مشورة الله ، وتبكيت الروح القدس ،

ويمضى فى طريق مسراته العالمية وعناد قلبه ، ... فسوف يسمع فى النهاية كلمات الدينونة الرهيبة :

« فأعلن فى أذنى رب الجنود لا يغفرن لكم هذا الإثم حتى تموتوا يقول رب الجنود » . فإن كانت التوبة هى الباب المؤدى للحياة ، فمَنْ يغلقه بيده يحرم نفسه من الدخول . وإن كان الروح القدس يبكت على خطية وعلى بر وعلى دينونة فمَنْ يجدف على هذا الروح فلن يغفر له لا فى هذا الدهر ولا فى الآتى .

وإن كان الرب فتح ذراعيه ليجذب إليه كل واحد وهو لا يشاء موت الخاطىء ، فمَنْ يرفض أن يأتى إليه فنصيبه يكون فى الظلمة الخارجية .

وإن كان الرب يريد أن يملك على أورشليم بالحق والبر والحب والصليب ، فإن هى رفضته فلابد أن تسمع هذه الكلمة : « هوذا بيتكم يترك لكم خراباً » . وهذا هو معنى عدم الغفران حتى النهاية « حتى تموتوا » ليس لأن الله لا يريد أن يغفر حاشا بل لقساوة القلب غير التائب فإنه يذخر لنفسه غضباً فى يوم الغضب واستعلان دينونة الله العادلة .

فأعلن فى أذنى ..

الرب لا يفعل أمراً إلاَّ ويُرى عبيده الأنبياء ما لابد أن يكون ، لا يخفى عن قديسيه شيئاً ، لذلك أعلن الرب كلمات الدينونة هذه كمَنْ يهمس فى أذن حبيبه ، هو أعلان ولكن فى سر ، لأن سر الرب لخائفيه ولهم يعلن عهده .

حقاً ما أكرم مركز القديسين عنده ، لقد صاروا قريبين إلى قلبه لذلك يعلن لهم مشيئته ، بل قيل أيضاً فى المزمور « يصنع إرادة خائفيه » .

١٥ ـ هكذا قال السيد رب الجنود . آذهب أدخل إلى هذا جليس الملك إلى شبنا الذى على البيت .

١٦ ـ مالك ههنا ومَنْ لك ههنا حتى نقرت لنفسِكَ ههنا قبراً أيها الناقر فى العلو قبره الناحت لنفسه فى الصخر مسكناً .

١٧ ـ هوذا الرب يطرحك طرحاً يا رجل و يغطيك تغطية .

١٨ ـ يلفك لف لفيفة كالكرة إلى أرض واسعة الطرفين . هناك تموت وهناك تكون مركبات مجدك يا خزى بيت سيدك .

١٩ ـ واطرُدُك من منصبك ومن مقامك يحطك .

٢٠ ـ ويكون فى ذلك اليوم أنى أدعو عبدى الياقيم بن خلقيا

مَنْ هو شبنا ؟

+ كان شبنا « جليس الملك » رجلاً غريب الجنس ، كان ناظراً على بيت الملك حزقيا ، ملك يهوذا . وربما كان أيضاً ناظراً على الهيكل أى متولياً الأمور الإدارية والمالية فى المملكة والهيكل على السواء .

وقد تراءى له إذ حصل على هذا المركز ، أنه صار ملكاً غير متوج ، فتفكر فى أن يجارى ملوك زمانه لتخليد ذكراه ، ففكر فى أن يبنى لنفسه قبراً منحوتاً فى الجبل ، مثلما كان يفعل ملوك قدماء المصريين مثلاً .

فحوى النبوة :

وقد أرسل الرب إشعياء النبى لكى يدخل إلى بيت حزقيا الملك و يوجه رسالة توبيخ لشبنا ، وكلمات نبوية قوية تنبىء بنهاية هذا الوضع الغريب فى بيت الملك وبيت الله ونهاية سلطانه الزائف .

وهذه الكلمات عينها تحمل معنى نبوياً لنهاية سلطان روح الظلمة الغريب الجنس ، المتسلط على المملكة والهيكل .

وتكون نهاية سلطان شبنا بأن يولى أحد غيره مكانه وسلطانه أما هو فيطرد و يطرح خارجاً .

وهذه إشارة لما قاله الرب يسوع « متى تسلح القوى يحفظ داره فى أمان ولكن متى جاء مَنْ هو أقوى منه فانه ينزع سلاحه المتكل عليه و يوزع غنائمه » .

+ وقد سأل الرب شبنا بفم إشعياء قائلاً مالك ههنا ومَنْ لك ههنا ، فهو كإنسان غريب الجنس ، مثل ذاك الذى وجده السيد داخل حفل العرس ولكن ليس عليه ثياب العرس ، فقال له يا صاحب كيف دخلت إلى هنا ؟ كيف جرؤت على دخول المقادس ، بل وجدت ناظراً على البيت ؟ وقد تربعت كما على العرش ، وخيل إليك أنك صرت ملكاً وأن مجدك ما كان ليزول أبداً ، فنقرت لنفسك قبراً فى صخر الجبل مثل الملوك العظماء .

ولكن الروح يناديه قائلاً : « يا خزى بيت سيدك » لقد صار خزياً لنفسه إذ يطرحه الرب من علوه و يطرده من مقامه و يلقيه كما تلقى الكرة بدفع شديد فينحطم و يكون رذالة وهواناً ، وليس

لنفسه فقط بل يصير خزياً لبيت سيده الملك الذى أقامه واستأمنه وهو ليس أهلاً لذلك .

تحقيق النبوة زمنياً :

وقد تمت كلمات هذه النبوة حرفياً ، فإن حزقيا ملك يهوذا عزل شبنا وأقام بدلاً منه الياقيم بن حلقيا ، وألبسه ثوبه وشده بمنطقته وجعل سلطانه فى يده ، وأعطاه مقاليد الأمور ومفاتيح البيت ... (راجع ٢ مل١٨ : ١٨ ، ٢٦ ، ٣٧ ؛ ١٩ : ٢) .

لنتأمل جيداً كلمات النبوة أنه ليس مجرد عزل من المنصب ولكن لأن شبنا هذا يمثل رجسة الخراب متربعة فى الموضع المقدس حيث لا ينبغى أن يكون ، فإن الكلمات بشأن الخلاص منه كلمات مملؤة قوة وافعال رهيبة ومخيفة : « يطرحك طرحاً ، يغطيك تغطية يلفك لف لفيفة (أى يقذفك بدفع قوى) اطردك من منصبك وأحطك من مقامك » .

ولم يقل إشعياء لشبنا هوذا ستأتى عليه هذه ، ولم يقل له إن حزقيا الملك سيصنع بك هكذا .

ولكن هوذا الرب يطرحك طرحاً ... إلخ .

لأن الرب نفسه هو صانع الخلاص وهو الذى يغار على مجده وعلى بيته وهيكله .

وعندما نتأمل كيف طرد الرب الشيطان من مسكنه ، كيف سحقه ، وجرد الرئاسات . حينئذ تفهم قوة كلمات النبوة على شبنا الغريب الجنس .

+ و يكون فى ذلك اليوم أنى أدعو عبد ألياقيم بن حلقيا .

(الياقيم معناه مَنْ يثبته الله) فان كان شبنا الغريب يشير إلى المتسلط الذى سيطرحه الرب و يبيده فإن الياقيم يشير إلى مَنْ يثبته الله ، صخر الدهور ، رجاء الأمم ، الذى كرسيه إلى دهر الدهر .

+ و يكون يوم أن يرد الرب الملك و يطرد الدخيل غريب الجنس من بيت الملك و يسلم مقاليد الأمور إلى مختار الله وصفيه الذى يضع روحه عليه ، يكون فى ذلك اليوم يقول الرب :

٢١ ـ ألبسه ثوبك . وأشده بمنطقتك وأجعل سلطانك فى يده فيكون أباً لسكان أورشليم ولبيت يهوذا .

٢٢ ـ وأجعل مفتاح بيت داود على كتفيه فيفتح وليس مَنْ يُغلق و يُغلق وليس مَنْ يفتح .

٢٣ ـ وأثبته وتداً فى موضع أمين ويكون كرسى مجد لبيت أبيه .

وقد أجمل الروح الصفات التى يضطلع بها المخلص وثياب الخلاص التى لبسها الرب لأجلنا . تأمل أيضاً فى تفاصيل تدابير الخلاص .

١ ـ ألبسه ثوبك :

لقد لبس الرب القوة وتنطق بها ، وقد ناداه إشعياء كمَنْ يستعجل زمان الخلاص قائلاً : « استيقظى استيقظى ألبس عزك يا ذراع الرب » ، أما عن هذا الثوب فرآه ثياباً محمرة كدائس المعصرة . وقد تنبأ داود أيضاً قائلاً المر والميعة والسليخة من ثيابك . فهى ثياب الملك والسلطان ، أرجوان وبرفير، لبسه المسيح فى يوم الخلاص أمام هيرودس وبيلاطس ، وهى أيضاً مر وميعة الآلام من جراحات وإكليل شوك فى ثوب الجسد .

٢ ـ وأشده بمنطقتك :

لقد تمنطق الرب يسوع بمنطقة الخدام فى يوم الخلاص حين إشتد

بمئزرة وغسل أرجل تلاميذه فى علية صهيون وقال لهم أنا بينكم كالذى يخدم فهى منطقة مملكة ولكن ليست من هذا العالم . فالمسيح ملك على خاصته بالبذل والإتضاع لا بالتجبر والكبرياء .

٣ ـ وأجعل سلطانك فى يده فيكون أباً لسكان أورشليم :

قال إشعياء فى نبواته السابقة أن الرب يدعى اسمه عجيباً مشيراً .. أباً أبدياً رئيس السلام .

فسلطان المسيح وسيادته هى سيادة الأب للبنين ، إذ صار هو بكراً بني إخوة كثيرين .

أليس هو القائل « لا أعود أسميكم عبيداً بل سميتكم أحبائى » ، « لأن العبد لا يعلم ما يعمل سيده لكنى سميتكم أحبائى لأنى أعلمتكم بكل ما سمعته من أبى » .

فهو قد ساد وملك بروح الحب وروح النبوة للآب ونقل الذين إختارهم إلى هذه النعمة التى نحن فيها مقيمون .

٤ ـ وأجعل مفتاح بيت داود على كتفه فيفتح ولا أحد يغلق ...

من قال أن المفتاح يحمل على الكتف ؟

إنه صليب المسيح الذى تنبأ عنه إشعياء قائلاً : « وتكون الرئاسة على كتفه » لقد حمله المسيح ــ كعلامة تقاوم ــ وحمله إلى الجلجثة ، وبه فتح المسيح باب الفردوس البيت الأبدى . وأغلق باب الجحيم .

وأعطاه للرسل الأطهار « أعطيك مفاتيح ملكوت السموات » .

وقد قال الرب يسوع لملاك الكنيسة فى سفر الرؤيا « أنا أفتح ولا أحد يغلق » .

٥ ـ وأثبته وتداً فى موضع أمين ويكون كرسى مجد لبيت أبيه :

لقد قال الملاك جبرائيل فى بشارته للعذراء « إنه يملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية » .

وقال أيضاً « يعطيه الرب الإله كرسى داود أبيه » .

كما تنبأ زكريا الكاهن يوم ولادة يوحنا السابق قائلاً « أقام لنا قرن خلاص فى بيت داود فتاه » .

هذا هو قرن الخلاص فى الموضع الأمين ، كرسى بيت داود الأبدى ومجده الذى لا يوصف وملكوته الذى لا يزول .

٢٤ ـ ويعلقون عليه كل مجد بيت أبيه الفروع والقضبان كل آنية صغيرة من آنية الطسوس إلى آنية القنانى جميعاً .

٢٥ ـ فى ذلك اليوم يقول رب الجنود يزول الوتد المثبت فى موضع أمين ويقطع ويسقط . ويباد الثقل الذى عليه لأن الرب قد تكلم .

+ يعلقون عليه كل مجد بيت أبيه الفروح والقضبان (ع ٢٤) . هنا إبداع الروح فى التصوير ، إن المخلص يصير هو محور المجد فى كنيسته ، وأولاد الخلاص المختارون يصيرون كالفروع والقضبان فى كرمته الحقيقة . « أنا الكرمة الحقيقية وأبى الكرام . كل غصن فىَّ لا يأتى بثمر ينزعه وكل ما يأتى بثمر ينقيه » .

« أنا الكرمة وأنتم الأغصان ... كما أن الغصن لا يقدر أن يصنع ثمراً من ذاته كذلك أنتم أيضاً إن لم تثبتوا فىَّ » .

وقد قيل عن شبنا الدخيل وغريب الجنس أنه صار خزياً لبيت

سيده أما الياقيم (رمز الخلاص) فيقال عنه أنه يعلق عليه كل مجد بيت أبيه . وقد أعلن الإنجيل هذا الأمر بوضوح بخصوص مخلصنا ، فعندما كان ابن اثنتي عشر سنة قال « ينبغى أن أكون فى ما لأبى » .

وفى كل أيام تجسده وخدمة الخلاص ، كان محور عمله أن يمجد الآب الذى أرسله و يظهره للعالم ... حتى إذا ما بلغ وقت كمال عمله الإلهى قبل الصليب مباشرة ، قال للآب « أنا مجدت اسمك على الأرض ... أنا أظهرت اسمك للناس » .

+ لاحظ أيضاً أن الذين تعلقوا به ونالوا نعمة الخلاص صاروا آنية صغيرة ، وآنية طسوس ، وآنية قنانى .

أنواع صغيرة وكبيرة ، وكلها صارت آنية للكرامة بعد أن كانت آنية هوان ... وهى إذ تعلقت بالمسيح ، يصح أن يقال عنها « لنا هذا الكنز فى أوان خزفية ليكون فضل القوة لله لا منا » .

+ أما النفوس التى تعلقت بالدخيل غريب الجنس واتكلت على الباطل واعتبرته وتداً مثبتاً فإنه يزول رجاؤها فيقطع الوتد و يسقط و يباد كل متكل ومرتكز عليه لأن فم الرب تكلم (ع ٢٥) .

الأصحاح ٢٣

١ - وحى من جهة صور . ولولى يا سفن ترشيش لأنها خربت حتى ليس بيت حتى ليس مدخل . من أرض كتيم أعلن لهم .

٢ - إندهشوا يا سكان الساحل . تجار صيدون العابرون البحر ملأوكِ .

٣ - وغلتها زرع شيخور حصاد النيل على مياه كثيرة فصارت متجرة لأمم .

٤ - إخجلى يا صيدون لأن البحر نطق قائلاً لم أتمخض ولا ولدتُ ولا ربيتُ شباباً ولا نشَّأت عذارى

٥ - عند وصول الخبر إلى مصر يتوجعون عند وصول خبر صور .

٦ - اعبروا إلى ترشيش ولولوا يا سكان الساحل .

٧ - أهذه لكم المفتخرة التى منذ الأيام القديمة قدمها تنقلها رجلاها بعيداً للتغرب .

٨ - مَنْ قضى بهذا على صور المتوجة التى تجارها رؤساء . متسببوها موقرو الأرض .

٩ - رب الجنود قضى به ليدنس كبرياء كل مجدٍ ويهين كل موقرى الأرض .

هذا الوحى من جهة صور وصيدا ، كإعلان إلهى وحكم للدينونة من جرى الخطايا الكثيرة التى غرقت فيها ...

أرض كتيم : يظن أنها جزيرها قبرص ، وهذا معناه أن أخبار عقاب صور وصيدا وخرابها سيسمع من على بعد . أى يسمعه التجار وهم بعد فى عرض البحر . فقبل أن يصلوا ميناء صور أو صيدون يعلن لهم خرابها وما قضى به رب الجنود عليها .

ولا شك أن لكلمات الدينونة والقضاء وقع مخيف ومرعب لا سيما إذا كانت لبلاد كهذه سكرى من فرط ما شربت من خمر الزنى والشهوات .

+ والروح يشير بوضوح شديد إلى المظاهر العالمية التى عاشت فيها صور وصيدون والمباهج الكاذبة التى جذبت أنظار الناس من بعيد .

لقد عاشت تتغذى على الإفتخار الباطل ... وكانت تجارتها

الظاهرة من بضائع هذه الدنيا الكاذبة وتجارتها الباطلة فى الشهوات والملاهى والزيغان عن الله .

وهكذا جمعت لنفسها غنى من الربح القبيح واكتسبت اسماً وشهرة وصيتاً عالمياً ، سريعاً ما يزول و يتغير.

+ الروح هنا يسميها المفتخرة ، التى منذ الأيام القديمة تجارها رؤساء ومتسببوها موقوروا الأرض . وكل افتخار كاذب مثل هذا ردىء كما يقول الرسول إنه إفتخار بالأباطيل واتكال على الغنى غير اليقينى ، فى لحظة من الزمان يفنى جمال منظره إذا ما هبت عليه نفخة القدير. أما تجارها فرؤساء ومتسببوها موقروا الأرض ولكن ليس لهم مدح أمام الله ... وليس مَنْ يمدحه الناس هو المزكى بل الذى مدحه من الله .

لقد أخذوا مجد الناس ، وكان هو كل رصيدهم ... أما رضى الله عنهم فلم يدخل فى حسابهم .

صور وصيدون :

قال ربنا يسوع المسيح للمدن التى صنع فيها أكثر قواته ولم تتب ، لو صنعت فى صور وصيدا القوات التى صنعت فيكم لتابتا

قديماً جالستين فى المسوح والرماد . ولكن صور وصيدا سيكون لهما فى يوم الدين حالة أكثر إحتمالاً مما لكما (لو١٠ : ١٣) .

يا ليت كلمات ربنا يكون لها فى قلوبنا قبولاً وفهماً كلما قرأنا فى القديم قصص دينونة شعوب وقبائل وكلما رأينا مجد العالم يتبدل إلى هوان وعظمة العالم وافتخاره وغناه وشهواته تكابد عقاباً هذا مقداره .

لقد إلتمس الرب لصور وصيدا عذراً أنه لم تصنع فيهما قوات وآيات الرب ، فأمم كثيرة من الشعوب الأممية والوثنية كانت تسارع إلى التوبة إذا أرسل الرب لها كارزاً مثل مدينة نينوى .

ولكن ماذا يقال عن الذين ولدوا فى النعمة واستنيروا مرة وقبلوا مواهب الروح وذاقوا عطاياه الصالحة . ورأوا أعمال الله وآياته تصنع أمام عيونهم ورغم كل الإحسانات لم يصنعوا أثماراً تليق بالتوبة ولكنهم زاغوا وراء الجسد ونسوا إحسانات الله .

ماذا يكون بعد إحسانات الله الكثيرة هذه إلاَّ قبول دينونة مخيفة ونار عتيدة تحرق المخالفين . لذلك فإن درس دينونة صور وصيدا ، يصير دافعاً للتوبة والرجوع إلى الله والتمتع ببركات الحياة فى حضرته .

٨ - مَنْ قضى بهذا ؟ على صور المتوجة التى تجارها رؤساء ومتسببوها موقرو الأرض ؟ رب سائل يسأل هذا السؤال ، فيجاب أن رب الجنود هو الذى قضى به ، وهذا ما عناه عاموس النبى حين قال : « هل تحدث بلية فى مدنية والرب لم يصنعها » (عا ٣ : ٦) .

ولكن ما سبب كل هذا ؟

الجواب هو أن الخطية وراء كل خراب ...

وما هو أساس الخطية ؟ هو الكبرياء والمجد الباطل .

هذه هى أفكار الله فى معاملته ورحمته ودينونته العادلة . وطالما غاب عن الإنسان أصل الداء ، ونسب الكوارث والعقاب والدينونة لأسباب كثيرة وعلل وقوعها بتعليلات كثيرة إبتعدت كثيراً عن الصواب ، ونسى أن الخطية الكامنة هى الفساد بعينه وأن البر يرفع شأن الأمة وعار الشعوب الخطية .

لذلك أعلن النبى عن فكر الله قائلاً أنه قضى بهذا « ليدنس كبرياء كل مجد و يهين موقرى الأرض » (ع ٩) .

إن طبيعة الله « وديع ومتواضع القلب » . بينما قيل عن عدو الخير أنه ملك على كل بنى الكبرياء وهذه هى علة السقوط ...

لذلك قيل أيضاً أن الله يقاوم المستكبرين أما المتواضعين فيعطيهم نعمة . وقيل أيضاً فى دانيال « أن مَنْ يسلك بالكبرياء فهو قادر على أن يذلله » .

وهذا هو معنى أنه يدنس كبرياء كل مجد ...

أن يخفض الرووس المتشامخة إلى التراب ... ويحط تعالى الإنسان إلى الأرض .

١٠ ـ إجتازى أرضكِ كالنيل يا بنت ترشيش . ليس حصر فى ما بعد .

١١ ـ مد يده على البحر أرعد ممالك . أمر الرب من جهة كنعان أن تخرب حصونها .

١٢ ـ وقال لا تعودين تفتخرين أيضاً أيتها المتهتكة العذراء بنت صيدون . قومى إلى كتيم اعبرى . هناك أيضاً لا راحة لكِ .

+ كمثل تدفق النيل إلى مياه البحر هكذا سيطرد الرب شعب صور وصيدون و يقذف بهم إلى خارج ... لا يدوم وجودهم فيها بل يصيرون بلا قوة و بلا قدرة يجرفهم الخوف والإرتياع كتيار النيل الجارف .

والرب يضع أمام صور وصيدا خبرات الشعوب السابقة. أليست ذراع دينونة الله هى التى أنشفت البحر الأحمر حينما تمجد الله بفرعون مصر وكل جنوده ... حينما رتل موسى وكل بنى إسرائيل لذراع الرب القوية « يمينك يارب معتزة بالقوة .. يمينك يارب حطمت العدو » (خر١٥ : ٦).

يمد الرب يمينه أولاً داعياً للتوبة والرجوع « بسطت يدى طول النهار » ولكن العيون تقفل دون رؤيتها والقلوب تتقسى بالرفض والآذان تثقل عن السماع وعن تصديق صوته المنادى كل أحد حتى أن إشعياء صرخ فى موضع آخر « يارب مَنْ صدق خبرنا ولمَنْ إستعلنت ذراع الرب ».

بعد ذلك يمد الرب يمينه للدينونة والعتاب ، يرعد بها وبروح فيه فتعج المياه وتجيش وترتعب الجبال من عزته وتذوب الجبال من وجه الرب كالشمع.

لقد صنع الرب هكذا بممالك كثيرة وشعوب إمتلأ كأس غضب الرب من نحوها ... ولكن هل صار هذا سبب توبة ورجوع لمَنْ حولها من الأمم؟ هل أفاقت من خمر زناها؟ هل غيرت طريقها ورجعت عن شرها؟ لا بل تمادت صور وصيدون إلى النهاية وإذا لم تصر لها دينونة الآخرين عبرة إستحقت هى الأخرى

أن تدان بدينونة وعقاب آشر .

إن أقرب البلاد إلى صور هى قبرص (كتيم) فإن فكر الشعب فى الهروب من الغضب الآتى والدينونة . إلى أرض كتيم فإنه لا راحة لهم هناك قال الرب . إلى أين أهرب من روحك وإلى أين أذهب من وجهك ؟ إن صعت إلى السماء فأنت هناك وإن هبطت إلى الجحيم فأنت هناك أيضاً هكذا قال المرتل .

إن الراحة لا توجد فى تغيير المكان !! هذا أمر مستحيل لأن الراحة الحقيقية كائنة فى تغيير القلب بالتوبة والرجوع إلى الله مريح المتعبين «تعالوا إلىَّ يا جميع المتعبين والثقيلى الأحمال وأنا أريحكم» هكذا قال مخلصنا .

١٣ ـ هوذا أرض الكلدانيين . هذا الشعب لم يكن . أسسها أشور لأهل البرية . قد أقاموا أبراجهم دمروا قصورها . جعلها ردماً .

١٤ ـ ولولى يا سفن ترشيش لأن حصنكِ قد أخرب .

الآن يحول الرب أعين صور وصيدون نحو أرض الكلدانيين وكيف تحولت قصورها إلى ردم ودمرت أبراجها بواسطة ملك أشور . كأن الرب يضع درس الدينونة للأرض المجاورة كمثال للعتيدين أن

يدانوا ... ما أكثر جودك يارب .

إن سدوم وعمورة كما يقول الرسول حكم عليهما بالخسف وجعلهما عبرة للعتيدين أن يفجروا ... وقيل أيضاً انظروا امرأة لوط .

لذلك يناديها قائلاً ولولى يا سفن ترشيش الحاملة البضائع المروجة التجارة النجسة .. لأن أيام الحكم قد أتت وكأس غضب الله قد إمتلأ و يده إرتفعت ليطلب ويحاسب .

١٥ - ويكون فى ذلك اليوم أن صور تنسى سبعين سنة كأيام ملك واحد . من بعد سبعين سنة يكون لصور كأنغية الزانية .

١٦ - خذى عوداً طوفى فى المدينة أيتها الزانية المنسية أحسنى العزف أكثرى الغناء لكى تذكرى .

١٧ - ويكون من بعد سبعين سنة أن الرب يتعهد صور فتعود إلى أجرتها وتزنى مع كل ممالك البلاد على وجه الأرض .

١٨ - وتكون تجارتها وأجرتها قدساً للرب . لا تخزن ولا تُكنز بل تكون تجارتها للمقيمين أمام الرب لأكل إلى الشبع وللباس فاخر .

+ تنبأ ارميا النبى عن هذه السبعين سنة بخصوص إسرائيل أنها ستكون فى سبى بابل مدة سبعين سنة (ارميا ٢٩ : ١٠) وتنبأ أيضاً بخصوص البلاد المجاورة أنها ستخدم ملك بابل مدة سبعين سنة .

ويقصد بالملك فى هذه النبوة نبوخذنصر الملك ... هذا الذى طرد من بين الناس ونسى مجده وابتل بندى السماء مدة سبع سنين كما فسر له دانيال .

ولكن ما أبدع ربط الأمم بإسرائيل فى العقاب ومكابدة نفس المصاعب والشراب من ذات الكأس ... حقاً لقد أغلق على الكل تحت الخطية ...

لقد خاطب الرب أورشليم فى بداية نبوات إشعياء قائلاً « كيف صارت القرية الأمينة زانية » .. واليوم يخاطب صور أيضاً قائلاً « طوفى فى المدنية أيتها الزانية المنسية » .

قال الرسول بولس « شدة وضيق على كل نفس إنسان يفعل الشر اليهودى أولاً ثم اليونانى » وقال أيضاً « لأننا شكونا أن اليهود واليونانيين أجمعين تحت الخطية . فمن جهة الزيغان عن الله والجرى وراء آخر حسبت جميع الأمم والممالك كزانية فى تعديها

على الله وعدم الإلتصاق به أو حفظ وصاياه .

وقد مثل الرب ذلك مراراً كثيرة . ولكن عندما إفتقد الرب العالم وطلب الخروف الطال بتجسده وسعيه وراء الإنسان ليخلصه ... شبه ذلك فى النبوات كمثل مَنْ يحب امرأة زانية صاحبة صاحب (انظر هوشع النبى أصحاح ٣ فى أوضح صورة لهذا المعنى) .

والرب ينادى صور كأقرب الأمم ــ يدعوها أن تأخذ عوداً ومزماراً وتدخل إلى مدينة الملك العظيم وتكثر الغناء وتحسن العزف فى زمان إفتقادها حين يذكرها الرب و بضمها إلى ميراثه .

لقد شاركت صور قديماً فى بناء الهيكل .. وكان حيرام ملك صور محباً لداود ملك إسرائيل الحلو وطلب عمال صور وصيدون خشباً ومدوا أيديهم واشتركوا مع إسرائيل . هذا كله حدث فى شبه السماو يات وظلها .

أما فى زمان الافتقاد ... حيث الهيكل غير المصنوع بيد ... هيكل جسد المسيح الذى هو الكنيسة .

وعندما ملك ابن داود الذى أقام خيمة داود الساقطة رأينا ممثلة صور المرأة الكنعانية تغتصب الملكوت وتأخذ من خبز البنين و يقول

لها الرب يسوع « عظيم هو إيمانكِ و يشهد أنه ولا فى إسرائيل إيمان مثل هذا » .

إذن كما قضى على إسرائيل سنين سبى ومذلة قضى أيضاً على صور وكما افتقد الرب إسرائيل ليصنع خلاصاً هكذا أشرق على كل الجالسين فى الظلمة وظلال الموت . وكما أهان الزمان الأول أهل زبولون وأهل نفتالى يكرم الزمان الأخير جليل الأمم والشعب السالك فى الظلمة .

وفى زمان الافتقاد تسمع صوت المزمار والعزف والتسبيح والفرح فى المدينة أى فى الكنيسة فى الأرض وفى السماء كما رآها يوحنا الحبيب فى سفر الرؤيا « لهم كل واحد قيثارات الله وهم يترنمون كترنيمة جديدة » .

و يكون أيضاً فى زمان الافتقاد والخلاص (أى زمان المسيا) أن تتحول تجارتها وأجرتها إلى قدس للرب فبعد أن كانت للزنى والنجاسة والجسد والتراب والعالم والشيطان ... تتكرس كل الطاقات لخدمة المسيح و بعد أن كانت تزن فضتها لغير شبع و بعد أن كانت تشرب من ماء العالم وتعطش أيضاً ... يقول الرب أنه يكون « لأكل إلى الشبع وللباس الفاخر » للقائمين أمام الرب فى قدسه .

وهذا هو ميراث الرجوع وعربون الخلاص .

الأكل من المن المخفى ... خبز الحياة ... جسد المسيح ... مَنْ يأكل منه لا يجوع ... بل بحسب كلام المسيح مَنْ يأكل من هذا الخبز يحيا إلى الأبد .

أما اللباس الفاخر فهو لباس المعمودية ، ... ثياب العرس ... الثياب البيض المبيضة فى دم المسيح .

وباختصار فإن الأكل للشبع هو جسد المسيح واللباس الفاخر هو الرب يسوع « إلبسوا الرب يسوع » ، « أنتم الذين اعتمدتم للمسيح قد لبستم المسيح » .

هذا هو التمتع بالخلاص لأن المسيح يسوع هو غاية النبوات وشهادة يسوع المسيح هى روح النبوة .

الأصحاح ٢٤

١ ـ هوذا الرب يخلى الأرض ويفرغها ويقلب وجهها ويبدد سكانها .

٢ ـ وكما يكون الشعب هكذا الكاهن . كما العبد هكذا سيده . كما الأمة هكذا سيدتها . كما الشارى هكذا البائع . كما المقرض هكذا المقترض وكما الدائن هكذا المديون .

مقـــدمـة :

ينتقل إشعياء النبى بداية من الأصحاح الرابع والعشرين وحتى السابع والعشرين من النبوات الخاصة بإسرائيل و يهوذا .. ثم ما يخص الشعوب والأمم المحيطة بهم ... ينتقل إلى نبوات عمومية تخص الأرض كلها عند كمال الأزمنة ... أى أنه يخرج من الجزئيات إلى الكليات ومن التخصص فى الحديث عن عينات من شعوب الأرض إلى الحديث عن شعوب الأرض كلها ... وفى ثنايا الحديث تظهر بشرى الخلاص يوجهها و ينادى بها إلى الأرض كلها ... وعن المفديين المختارين المعينين يظهر بجلاء عظيم خلال

الكلمات النبوية ما إدخره الرب للذين كتبوا للحياة من فرح وترنم وسرور وميراث أبدى لا يضمحل .

تبدأ النبوات عن دينونة الأرض بإظهار أن الخطية ضربت جذورها فى الأرض كلها . وأمام الدينونة العامة الجميع تحت الحكم سواء ... الكاهن والنبى والشيخ والحكيم والعبد والسيد والشارى والبائع ... أغلق على الكل تحت الخطية ... واستحق الجميع حكم الموت .

ولكن النبوات تأخذ معنى غاية فى الإبداع .. إن الرب يخلى الأرض و يفرغها ... وكأن الرب يعيد صياغتها من جديد ... يعيد خلقتها خليقة جديدة .

فى بداية الخليقة الأولى كانت الأرض خربة وخالية ، وعلى وجه الأرض ظلمة ثم أكمل الله الخلقة بالكلمة من هذا الخراب الموحش . وعندما دخلت الخطية إلى العالم صارت الخليقة كلها تئن وتتوجع وهى واقعة فريسة للهلاك ... وعندما كمل زمان الخطية وجاء وقت دينونتها والحكم عليها ... قيل إن الرب يفرغ الأرض و يقلب وجهها ليعيد خلقتها كما من البداءة .

وكما كان فى أيام نوح حين غرق العالم كله فى الشهوات

إستحق أن يكابد دينونة الطوفان وغرق جميع الناس الذين كانوا على وجه الأرض . وأفرغ الرب الأرض من سكانها ... ومن نوح البار جدد الرب الخليقة بعد أن استبقاه بالفلك الذى هو مثال المعمودية كقول بطرس الرسول .

٣ ـ تُفرغ الأرض إفراغاً وتنهب نهباً لأن الرب قد تكلم بهذا القول .

٤ ـ ناحت ذُبلت الأرض . حزنت ذبلت المسكونة . حزن مرتفعوا شعب الأرض .

٥ ـ والأرض تدنست تحت سكانها لأنهم تعدوا الشرائع غيروا الفريضة نكثوا العهد الابدى .

هنا تشير النبوة إلى أن الأرض نفسها قد تدنست تحت سكانها أى أن ظل الخطية وقع حتى على الأرض . كما يشهد القديس بولس الرسول أن الخليقة كلها تئن وتتمخض معاً . وقد ظهر هذا واضحاً منذ أن دخلت الخطية فقد صارت الأرض تنبت حسكاً وشوكاً ... وقد لعنت الأرض حتى فتحت فاها وقبلت دم هابيل الصديق ... ومنذ ذلك الحين والأرض تتدنس بخطايا الإنسان وتشهد بإنحرافاته ... حتى أشهدها الرب على الإنسان قائلاً :

« إصغى أيتها الأرض ... » (إش ١) .

وقد أوضح الرب السبب بقوله لأنهم تعدوا الشرائع ، وغيروا الفريضة . نكثوا العهد الأبدى .

فالناموس يشهد بجلاء أنه لم يحفظ كلماته ولا واحد . والفرائض والأحكام أظهرت عجز الإنسان المطلق عن تحقيق الكمال والعهد الأول فى الذبائح الدموية والكهنوت اللاوى نكثوه ولم يحفظوه .

وهنا يجدر بنا أن نسمع قول الوحى الإلهى بفم بولس الرسول : « هوذا أيام تأتى يقول الرب حين أكمل مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا عهداً جديداً . لا كالعهد الذى عملته مع آبائهم يوم أمسكت بيدهم لأخرجهم من أرض مصر . لأنهم لم يثبتوا فى عهدى وأنا أهملتهم يقول الرب . لأن هذا هو العهد الذى أعهده مع بيت إسرائيل بعد تلك الأيام يقول الرب أجعل نواميسى فى أذهانهم وأكتبها على قلوبهم ... لأنى أكون صفوحاً عن آثامهم ولا أذكر خطاياهم ... فإذ قال جديداً عتق الأول وأما ما عتق وشاخ فهو قريب من الاضمحلال » (عب ٨) .

وهذا يشرح بجلاء تدبير الله من جهة الإنسان بعد أن دنس

الأرض ونقض العهد وكسر الناموس . قد حول الرب العقوبة خلاصاً . وبدل الموت والدينونة بالغفران والحياة إلى الأبد ... بالعهد الجديد لا من جهة الإنسان بل بدم المسيح الذى بروح أزلى يطهر الضمائر ويجدد الخليقة كلها .

تدنست الأرض تحت سكانها :

بإنسان دخل الموت إلى العالم وتدنست من بعده الأرض تحت سكانها ... ترى مَنْ يرفع اللعنة . وكيف تتقدس الأرض ؟ عندما وطئت قدما القدوس الذى بلا خطية ... أرض الشقاء .. تقدست وغسلت لعنتها .

عندما نزل الله كنار مشتعلة فى عليقة رمزاً لتجسده الطاهر . وقال لموسى رأيت عياناً مذلة شعبى ... ونزلت لأخلصهم ... فى ذلك الوقت قيل لموسى إخلع نعليك لأن الأرض التى أنت واقف عليها أرض مقدسة ... تقدست الأرض بنزول ابن الله إليها حتى إلى جوف القبر ... وحول المسيح العقوبة خلاصاً وبدل الموت إلى قيامة واللعنة إلى بركة أبدية .

٦ ـ لذلك لعنة أكلت الأرض وعوقب الساكنون فيها .

لذلك إحترق سكان الأرض وبقى أناس قلائل .

٧ ـ ناح المسطار ذبلت الكرمة أنَّ كل مسروري القلوب .

٨ ـ بطل فرح الدفوف انقطع ضجيج المبتهجين بطل فرح العود .

٩ ـ لا يشربون خمراً بالغناء . يكون المسكر مراً لشاربيه .

١٠ ـ دمرت قرية الخراب . أغلق كل بيت عن الدخول .

١١ ـ صراخ على الخمر فى الازقة . غرب كل فرح . انتفى سرور الأرض .

١٢ ـ الباقى فى المدينة خراب وضُرب الباب رماداً .

١٣ ـ إنه هكذا يكون فى وسط الأرض بين الشعوب كنفاضة زيتونة كالخصاصة إذ إنتهى القطاف .

ونحن هنا أمام دينونة الأرض كلها ... فالكلمات كلها عقاب وأنين ونوح وبكاء ودمار ... وقد شملت الدينونة كل أحد أتت العلنة على كل شيء .

ونستطيع أن نخلص إلى أمور مفيدة للتأمل نافعة للحياة :

١ - إنصبت الدينونة بالأكثر على المنغمسين فى أفراح هذا العالم الزائل « أنَّ كل مسروری القلوب » . وتحولت أفراحهم إلى حزن لأن فرح العالم إلى حين ... وهنا يجدر بنا أن نحزن طالما هناك زمان للتوبة ... طوبى للحزانى لأنهم يتعزون ... وكما قال ربنا « و يل لكم أيها الضاحكون الآن لأنكم تحزنون وتبكون » .

٢ - إختص الروح بصفة خاصة الخمر ، والمسكر ، والكرمة التى تشير روحياً إلى السكر بخمار هذا العالم والتلهى عن الخلاص النفس والإنزلاق فى الإستهتار والخلاعة وغياب الإنسان عن وعيه الروحى وإدراك نهاية العالم وكونه باطل الأ باطيل ...

يصير المسكر مراً لشاربيه ... ناح المسطار ... ذبلت الكرمة . فإن كان هذا هو قضاء الخمر والمسكر ونهاية حتمية للذين سقطوا فى هذا الشرك .

فعندنا الوصايا الإلهية « لا تسكروا بالخمر الذى فيه الخلاعة بل امتلئوا من الروح » ... لقد صار الخمر مراً لشاربيه . لم يعد بعد الخمر الذى يفرح قلب الإنسان ... إنقلبت النشوة إلى مرارة ، إنقطع ضجيج المبتهجين .. بطل فرح العود .

وفى سفر التثنية إشارة عجيبة لكون الخمر يكون مراً لشاربيه ... « لأن من جفنة سدوم جفنتهم ومن كروم عمورة ... عنبهم عنب سم ولهم عناقيد مرارة » . إن الخمر الذى يشربونها هى نتاج كرمهم ... ثمر أفعالهم الأثيمة .. أفعال سدوم وعمورة فى الزنا والفجور .. وأى مرارة رهيبة تكون فى ثمر الخطية التى هى سم الحية القديمة . ألم ينقلب شرب الخمر مراً لبيلشاصر بن نبوخذنصر وهو غارق فى شهواته عندما ظهرت طرف اليد وكتبت على مكلس الحائط « منا منا تقتل وفرسين » ، وقد فسر له دانيال النبى من قبل الرب الكتابة « أحصى الله ملكك وأنهاه » . وفى تلك الليلة قتل بيلشاصر، وتحول شرب الخمر إلى مرارة نفس حتى الموت (دانيال ٥ : ٥) .

ثم أظهر الرب حبه للبشرية أطيب من الخمر ... وقدم الرب كأسه لأحبائه « كأسك روتنى » . وصار خمر العهد الجديد براً وقداسة وفرح فى الروح لا ينتهى إلى كل الدهور .

٣ - من مراحم الرب أنه ما من مرة ينطق الروح بكلمات الدينونة والعقاب ألاَّ ويجعل باباً للنجاة وشعاعاً للرجاء ومنفذاً للخلاص . « وبقى أناس قلائل » .

فللرب بقية فى كل زمان ومكان ومن أجلها يتحنن الرب ويتراءف وفى زمان الدينونة الأخير يقول ربنا « ولو لم يقصر الرب تلك الأيام لم يخلص جسد ولكن لأجل المختارين تقصر تلك الأيام » (مر١٣ : ٢٠) .

٤ - يكونون بين الشعوب كنفاضة زيتونة كالخصاصة إذا إنتهى القصاص ... إنه زمن دينونة وخصاد وزمن طلب الثمار وفرز الجياد من الأردياء ، والقمح من التبن وأولاد الله من أولاد العالم .

البعض عن اليمين لميراث الملكوت المعد والآخر عن الشمال للعذاب الأبدى .

+ بشارة الخلاص ومجد الرب فى دينونة الأرض :

متى جاء يوم الدينونة على الأرض وجميع السكان فيها،يتمجد الرب بمجد عظيم فى سحق الخطية ودينونة الأشرار ويتعالى بره والذين أهانوا الرب ورفضوه يكون هذا اليوم لخزيهم . الذين قبلوه فقد جاء زمان نجاتهم حين يتحول حزنهم إلى فرح على هذا النحو كان مجيء ربنا فى تجسده ... أدان الخطية فى الجسد ... وحكم على الموت بموته وتمجد بقيامته وخزى الذين رفضوه ملكاً عليهم وتمجد الذين قبلوه رباً وفادياً ومخلصاً .

وهكذا يكون أيضاً فى مجيئه الثانى المخوف والمملوء مجداً حين « يقولون للجبال إسقطى علينا وللآكام غطينا ... » (رؤ٦) ، بينما يتهلل الأبرار بالفرح « يدخلون إلى العرس الأبدى » .

وهذا ما تبنأ عنه إشعياء النبى فى الأعداد من ١٤-٢٣ .

١٤ ـ هم يرفعون أصواتهم و يترنمون . لأجل عظمة الرب يصوتون من البحر.

١٥ ـ لذلك فى المشارق مجدوا الرب . فى جزائر البحع مجدوا اسم الرب إله إسرائيل .

١٦ ـ من أطراف الأرض سمعنا ترنيمة مجداً للبار.

فبينمنا (عدد ١٣) يصف الأرض كلها كزيتونة نفضت أوراقها وجُمعت ثمارها فوقفت هكذا عريانة من كل شىء .. نجد إشراق الخلاص ينبع كما فى وسط القفر. فينتقل إلى الحديث عن الذين يرفعون أصواتهم و يترنمون لأجل عظمة الرب ... ترى مَنْ هؤلاء ؟

الذين كانوا ينتظرون إشراق شمس البر كقول ملاخى (ملا ٤ : ٣) عندما يبصرون الرب فى عظمته ومجده . يترنمون

ترنيمة الخلاص ... ترنيمة موسى عبد الرب ... وهى ذات الترنيمة التى سيترنم بها المفديون إلى أبد الآبدين فى السماء (رؤ١٥) .

« **يصوتون من البحر** » ... لم تسمع أصواتهم ولكن إلى أقصى الأرض بلغ منطقهم ... كرازتهم بالمسيح كانت أنشودة جميلة ... خبر مفرح ... بشارة سارة ... إنجيل خلاص . لذلك قال النبى « من أطراف الأرض سمعنا ترنيمة مجداً للبار » أى أن الكرازة بالإنجيل تبلغ أطراف الأرض ... ولا يوجد مكان مهما كان فى أطراف الأرض إلاَّ وتشرق عليه أنوار البشارة ورجاء الخلاص ... مجداً للمسيح الذى خلص عبيده . كقول الرب أيضاً « يكرز ببشارة الملكوت هذه فى كل المسكونة شهادة لجميع الأمم » (مت ٢٤ : ١٤) .

و يزيد إشعياء النبى إيضاحاً أن بزوغ النور الإلهى يكون من المشارق كمثل إشراق الشمس هكذا يكون « من المشارق مجدوا الرب » فالمجوس الذين من المشرق رأوا نجمه فى المشرق ورأوا مجده وسعوا للسجود له . وعندما أكمل الرب تدبير الخلاص صعد إلى السموات نحو المشرق . وعندما نتطلع فى صلواتنا نحو المشرق نمجد وننتظر ظهوره الثانى من المشرق حين يأتى فى مجده وجميع الملائكة القديسين معه ليدين العالم .

+ وعلى عكس ذلك تماماً كما كان ظهور الرب لمجد محبيه يكون خزياً لرافضيه .

١٦ ـ ... فقلت يا تلفي يا تلفي . ويل لى . الناهبون نهبوا الناهبون نهبوا نهباً .

١٧ ـ عليك رُذب وحفرة وفخ يا ساكن الأرض .

لقد طرح إبليس كما رآه القديس يوحنا الحبيب فى رؤياه إلى الأرض (رؤ١٢ : ٩) . وقيل حينذاك ويل للأرض وللساكنين فيها .. لذلك يدعوه إشعياء ساكن الأرض . وقد كان مجيء ربنا متجسداً إلى العالم ودينونة الخطية على الصليب رُعباً وحفرة وفخاً للشيطان .

فأنت ترى من اللحظات الأولى التى وطئت فيها قدما ربنا أرض الشقاء ... والشيطان وكل قواته وجنوده قد إعتراهم خوف ورعدة شديدة . فهيرودس اضطرب وجميع أورشليم معه ... وقام وقتل الأطفال . والشياطين لما رأت المسيح فرت هاربة وكانت تصرخ وتقول ليما أتيت قبل الوقت ... ورؤساء الكهنة صاروا فى خوف وفزع على مراكزهم إذ رأوا أن العالم كله ذهب وراءه ... هكذا كان الشيطان حتى الصليب فى خوف ورعب ... ثم ماذا

عندما قام المسيح ناقضاً أوجاع الموت ... إندحرت قوات الظلمة واندكت حصون الشيطان إبتلع الموت إلى غلبة ودارت الدائرة على الشيطان .

وهنا يصف إشعياء إرتباك الشيطان كمدان أمام الله .. وقد ضاع المهرب منه كمثل شارد فى الحرب .

١٨ ـ ويكون أن الهارب من صوت الرُعب يسقط فى الحفرة والصاعد من وسط الحفرة يؤخذ بالفخ . لأن ميازيب من العلاء إنفتحت وأسس الارض تزلزلت .

١٩ ـ إنسحقت الارض إنسحاقاً . تشققت الأرض تشققاً . تزعزت الارض تزعزعاً .

+ هذه أركان مملكة الشيطان .. كل ما هو أرضى وترابى ... على هذا كانت تقوم مملكته فى وسط العالم .. شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظم المعيشة ...... وعلى هذا كانت ترتفع على الكبرياء وتمجيد الذات ... ترتفع بالكبرياء وتنحل بالشهوات وتتمجد بالكذب .. وتفتخر بالأ باطيل ...

وكل هذه الأمور تزعزعت من أساساتها عندما خلص الرب شعبه بالصليب ... قيل أن الصخور تشققت والقبور تفتحت ...

إنكسر سلطان الموت الذى كان يمسك بقبضة عاتية كل النفوس وتزعزعت أساسات مملكة الشيطان .. إنحل الكبرياء ... صارت الشهوات حقيرة ... صارت الخطية مفضوحة أمام أعين أولاد الله صار العالم كله تافهاً ... ما كان لى ربحاً حسبته خسارة وأنى أحسب كل الأشياء نفاية .

ظهور ملكوت المسيح كنور فى الظلام مبادىء عالية سامية ووصايا روحية إندكت أمامها كل مشورات الشيطان .

كل هذا صنعه الرب بالصليب من أجلنا وقد أكد إشعياء هذه المعانى بقوله : « فى ذلك اليوم يخجل القمر وتخزى الشمس لأن رب الجنود قد ملك على جبل صهيون فى أورشليم » (ع٢٣) .

ففى ذلك اليوم . يوم الصليب . خجل القمر وخزيت الشمس من المعلق على الخشبة ما أجمل هذا التعبير النبوى وما أعمقه إنه يحتاج إلى هدوء وتأمل وصلاة وشكر للذين إفتدانا بدمه وإشعياء يحدد أنه فى ذلك اليوم ملك الرب على جبل صهيون فى أورشليم .. ملك على خشبة كما يقول المزمور وكان عنوان علته مكتوب على الصليب بلغات مختلفة [يونانية ـ رومانية ـ عبرانية] « هذا هو ملك اليهود » (لو٢٣ : ٣٨) هو ملك الملوك ورب الأرباب ولد كملك . ابن داود . ودخل أورشليم كملك وصُلب على الصليب

كملك . وملك على الكل وهو على الصليب .. ولكن ينبغى لنا أن نؤكد أنه رفض أن يكون ملكاً بحسب مفهوم الناس وعُرف العالم لأن مملكته ليست من هذا العالم .

تقييد الشيطان :

يؤكد سفر الرؤيا هذا المعنى أن الشيطان يقيد ألف سنة . « فقبض على التنين الحية القديمة الذى هو إبليس والشيطان فيده ألف سنة وطرحه فى الهاو ية وأغلق عليه وختم عليه لكى لا يضل الأمم فى ما بعد حتى تتم الألف سنة وبعد ذلك لابد أن يحل زماناً يسيراً » (رؤ٢٠ : ٢ ، ٣) .

وهذا ما يتنبأ به إشعياء النبى فى سياق حديثه عن يوم الخلاص :

٢١ ـ و يكون فى ذلك اليوم أن الرب يطالب عند العلاء فى العلاء وملوك الأ رض على الأ رض .

٢٢ ـ ويجمعون جمعاً كأسارى فى سجن و يغلق عليهم فى حبس ثم بعد أيام كثيرة يتعدون .

فبالصليب ربط الشيطان وصار مقيداً فاقداً سلطانه وقوته أمام

الصليب . منسحقاً ومهاناً مشهراً جهاراً ، وأسلحة محاربتنا الصليب ووسائط النعمة قادرة بالله على هدم حصونه .

أما ما كان الشيطان متفوقاً فيه كرئيس سلطان الهواء وكما يقول الرسول عنه : « قوات الشر الروحية فى السماويات » (أفسس ٦ : ١٢) فهذا دعاه إشعياء جند العلاء .. أى سلطان الشيطان فى عالم الروح ... وكذا أيضاً سلطانه فى عالم المادة « ملوك الأرض على الأرض » فكليهما قد حكم الرب عليهما بالصليب وقيدهما كما فى حبس وسجن كأسرى فى ذل الحبوس .

انظر وتأمل أيها العزيز .. فى بركات الخلاص وقوة الصليب وكم صنع الرب بنا من عظائم . فلنمجد اسمه القدوس على رحمته ونشكره لأنه صالح وأن إلى الأبد رحمته .

٢٣ - ... قدام شيوخه مجد .

عندما ظهر الرب بمجد فى القديم أمر الرب موسى أن يصعد إلى الجبل هو وهارون وسبعون شيخاً (خر ٢٤) .

وتراءى الرب بمجده أمام شيوخ بنى إسرائيل .

وهكذا عندما تمجد الرب بالصليب على جبل الجلجثة وأظلمت الشمس من الساعة السادسة إلى الساعة التاسعة ... عاين كل بشر

مجده وشهد قائد المئة والذين كانوا واقفين رجعوا وهم يقرعون صدورهم . وقد إختص الرب شيوخه . كهنته . رسله الذين إختارهم شهوداً ... فرأوا وشهدوا وعاينوا ونحن نعلم أن شهادتهم حق ... كما يقول يوحنا الإنجيلى رفيق الصليب ، وكما قال القديس بطرس الرسول كنا معاينين عظمته .

بل أن المجد الأبدى الذى رآه القديس يوحنا فى رؤياه ، يستعلن هذا المجد قدام الأربعة والعشرين شيخاً (قسيساً) الجالسين حول العرش الإلهى على أربعة وعشرين عرشاً وفوق رؤوسهم تيجان من ذهب وفى أيديهم مجامر الشفاعة مملوءة بخوراً هو صلوات القديسين . إنه منظر واحد لمجد الله يزداد وضوحاً كلما إقتربنا إليه ، حتى نبلغه فى السماء حيث ندركه ولا نستطيع أن ندرك كماله ولا نهايته .

الأصحاح ٢٥

مقـــدمـة :

+ فى الأصحاح ٢٤ : ١٦ سمع إشعياء النبى من أطراف الأرض ترنيمة مجداً للبار، بينما إسرائيل غارق فى الحزن ، والآن يعلن إشعياء عن كمال الخلاص وقبول إسرائيل واستعلان أورشليم الجديدة بخلاص المسيح . إذ يختتم نبوات الأصحاح السابق قائلاً :
« لأن رب الجنود قد ملك على جبل صهيون وفى أورشليم وقدام شيوخه مجد ».

أى كما قال القديس بولس الرسول أنه بعد أن يدخل ملء الأمم ، يجمع الرب متفرقى إسرائيل وتخلص البقية . وهكذا ترفع صهيون صوتها بذات التسبيح الذى سمع من أطراف الأرض (أى من الأمم البعيدة عن رعوية إسرائيل) .

• سبب التسبيح :

يظهر جلياً أن سبب الفرح هو سقوط وتدمير « قرية الخراب »

(ص٢٤ : ١٠) التى بإلقائها إلى الأرض صنع الرب خلاصاً عظيماً للمذلولين من شعبه ، وهذا أرجع إلى الذهن صورة عجائب الخلاص فى البحر الأحمر .

وإذا سألنا مَنْ تكون قرية الخراب هذه ؟

فإن الجواب تعطيه المقارنة بين (ص٢٦ : ١) حيث يقول « لنا مدينة قوية . يجعل الخلاص أسوار مقدسة » .

(ص ٢٦ : ٥) « يضع القرية المرتفعة . يضعها إلى الأرض يلصقها بالتراب تدوسها الرجل رجلا البائس أقدام المساكين » فقرية الخراب أى مملكة المخرب ، حيث الشيطان إبليس هى الضد للمدينة التى لها الأساسات ، التى أسوارها هى الخلاص الذى صنعه المسيح بدمه .

+ من جهة أخرى إذا عدنا إلى (ص ٢٤ : ٢٩) نجد إشراق الصليب بجلاء أكثر من نور الشمس « يخجل القمر وتخزى الشمس لأن رب الجنود قد ملك (على خشبة الصليب) فى جبل صهيون وفى أورشليم » .

وهذا ما حدث بالحرف حين صُلب ربنا وكانت ظلمة على الأرض كلها من وقت الساعة السادسة إلى وقت الساعة التاسعة .

على هذا يكون التسبيح هو التعبير التلقائى للمفديين بدم المسيح ، يمجدون الخلاص و يذكرون العجائب والآيات التى صنعها بيده القوية وذراعه المحدودة .

١ - يارب أنت إلهى أعظمك . أحمد اسمك لأنك صنعت عجباً مقاصدك منذ القديم أمانة وصدق .

ـــ تبدأ تسبحة الخلاص ذات البداية التى لتسبحة موسى عبد الرب يوم عبور البحر الأحمر حين قالوا « أرنم للرب لأنه قد تعظم » (خر١٥ : ١) وهذه هى الكلمات التى يسبحون بها إلى أبد الدهور فى السماء ، كما رآهم القديس يوحنا الحبيب فى رؤياه « وهم يرتلون ترنيمة موسى عبد الرب » (رؤ١٥ : ٣) .

فالتسبيح هو تمجيد الله من أجل أعماله العظيمة ، وهو أساساً لغة الملائكة المطلعين على جلائل أعمال الله وقدرته . ولكن الله أعطى الذين هم على الأرض تسبيح السيرافيم (إش٦) .
لأنه صانع العجائب وحده وليس بأحد غيره الخلاص .

• صنعت عجباً :

لقد تنبأ إشعياء النبى قائلاً « يدعى اسمه عجيباً » (إش٩ :

٦) وهو كما يدعوه المزمور « متعجب منه بالمجد » وفى تسبحة موسى قالوا « مَنْ مثلك بين الآلهة يارب . مَنْ مثلك معتزاً فى القداسة . مخوفاً بالتسابيح صانع عجائب » (خر١٥ : ١١) . فأعمال الله الخلاصية هى بمثابة عجائب وآيات على الأرض ... من المذود حتى الصليب والقيامة ، والصعود إلى السماء . وكلها تستوجب الحمد والتسبيح لكونها أعمالاً فائقة للطبيعة . وخلاصاً غير متوقع بل مستحيل على ذراع بشر ، لذلك لا يملك الإنسان إلاَّ أن يسبح ويمجد إله الآلهة و يشكره لأنه صالح ومحب للبشر .

• مقاصدك منذ القديم أمانة وصدق :

الذى يتتبع التاريخ المقدس يدرك منذ البداية أن مقاصد الله للخلاص هى منذ القديم بل منذ الأزل .

وهذا يجعل النفس مدينة للذى أحبها قبل كون العالم فإشعياء حينما أدرك عمل الخلاص بالصليب على جبل صهيون أدرك فى الحال أعمال التدبير الإلهى والحب الأزلى والمقاصد القديمة المكنونة نحونا ، كأن الصليب ليس حدثاً جديداً فى الزمن ولكنه منذ القديم . (تأمل قرابين هابيل الصديق ، وذبيحة أبينا إبراهيم ، فى سفر التكوين ، وخروف الفصح فى سفر الخروج ...

وهكذا) .

إنها حقاً مقاصد منذ القديم ، لما جاء ملء الزمان إستعلنت للعيان تأمل قول بولس الرسول « إختارنا فيه قبل كون العالم لنكون قديسين » . وقول الرب « رثوا الملك المعد لكم قبل إنشاء العالم » .

إنها مقاصد منذ القديم وحب أزلى للمختارين والمعينين لميراث ملكوته وقد تحقق بالصليب وتكميل الخلاص أن الله صادق فى مواعيده ، وعلى حد تعبير القديس بطرس الرسول « ما سبق وأنبأ به بأفواه أنبيائه أن يتألم المسيح قد تممه هكذا » .

فما أروع أن يعيش إشعياء بروح النبوة تحقيق مواعيد الله و ينطق بهذا التسبيح ويحمد الاسم القدوس لأنه صنع العجائب وتمم الخلاص وأكمل مواعيده الإلهية فى ملء الزمان .

٢ ـ لأنك جعلت مدينة رجمة . قرية حصينة ردماً . قصر أعاجم أن لا تكون مدينة لا يبنى إلى الأبد .

لقد حطم الرب بالصليب قوة الشيطان وشوكة الخطية كسرها وسحق الموت بموته ، وصارت مملكة الشيطان منهدمة ، بلا كيان ولا قوة ، ودكت حصونه التى كان يتحصن بها داخل الإنسان .

لقد كانت الخطية متخذة فرصة على الإنسان ، متحصنة وراء الغرائز فى الجسد ، ساكنة فيه حتى كان الإنسان يصرخ « ويحى أنا الإنسان الشقى مَنْ ينقذنى من جسد هذا الموت » .

وكان ناموس الخطية كائن فى الأعضاء ، يسبى الإنسان رغماً عنه إلى الإنحدار حتى لو كان الإنسان يُسَرّ بناموس الله ووصاياه ولكنه كان مغلوباً ومقهوراً من سلطانْ روح الظلمة المالك فى جسده . فلما جاء المسيح المخلص ، والكلمة صار جسداً ، ودان الخطية فى الجسد ، عندما حمل خطايانا وأنهى على سلطان الشيطان بقيامته ناقضاً أوجاع الموت عن الجسد ومحرراً عبيده من سلطان الموت .

هنا هدمت مملكة الموت ، صارت مثل رجمة حجارة ، أو ردم تراب ، ولن تبنى إلى الأ بد ، لأن قوة الحياة فى المسيح وناموس روح الحياة فيه اعتقنى من ناموس الخطية والموت إلى الأ بد .

٣ ـ لذلك يكرمك شعب قوى وتخاف منك قرية أمم عتاة .

٤ ـ لأنك كنت حصناً للمسكين حصناً للبائس فى ضيقه . ملجأ من السيل ظلاً من الحر إذ كانت نفخة العتاة كسيل على حائط .

على مستوى الأحداث الزمنية ، كان يتبع العجائب والآيات التى يعملها الرب لخلاص شعبه ، مخافة ورعب فى الشعوب المحيطة ، تذكر كيف ذابت قلوب شعوب الأرض عند سماعهم أخبار إنكسار فرعون وعزته فى البحر الأحمر ، إنحلت أحقاء الملوك ودخل الرعب وخوف الرب عليهم (راجع سفر الخروج) .

وكذا الملوك فى الأزمنة اللاحقة ، مثل نبوخذنصر ، عندما رأى أعجوبة الخلاص من النار للثلاثة فتية القديسين ، كيف خاف الله وأكرم اسمه وكتب كتابات تمجيد لله لجميع الشعوب .

وأيضاً أيام أحشويرش الملك بعد أن صنع الرب الخلاص العجيب من يد هامان ، وكيف وقع خوف الرب والرعب على الشعوب التى كادت تفتك بشعب الله لولا تدخله العجيب .

+ أما المسكين والبائس فقد إحتمى وتحصن فى المدينة التى صار الخلاص سوراً لها ، المدينة التى لها الأساسات .

فلما جاء السيل ، وكانت نفخة العتاة ، كالسيل على الحائط لم تستطع أن تنال شيئاً لأن البيت الذى إحتمى فيه البائس كان مؤسساً على الصخر كما قال الرب فى الموعظة على الجبل (مت ٧) .

+ وماذا يصنع العتاة بعد أن صارت مدينتهم ردماً ؟ بالصليب ، وماذا يصنع الشيطان بإنسان ركض إلى حضن الرب وتمنع وسكن فى ستر العلى وفى ظل الإله القدير الذى هو الصليب ؟

٥ ـ كحر فى يبس تخفض ضجيج الأعاجم . كحر بظل غيم يذل غناء العتاة .

+ لقد أبطل الرب تجبر الشيطان ، وأذل فرحه إلى حزن أبدى مثل ما يبطل الحر . حينما تظلل السحابة عليه .

لقد ظلل الرب بسحابة النعمة وأمطر بروحه على البشرية وأزال حريق الحر وأنهى على قوة النار (صوت الرب يطفىء لهيب النار) .

+ وإن وعد الرب قائم « إنه يظلل على يدك اليمنى فلا تحرقك الشمس بالنهار ولا القمر بالليل » .

+ وقد إختبر الشعب هذا العمل العجيب أربعين سنة فى البرية فى الشمس المحرقة . كيف كانت السحابة تظللهم نهاراً كل الأيام . كوجود دائم لله . فلم تضرهم الشمس .

+ لا يفوتنا أن ندرك أن الشيطان يشعر بالنشوة والإنتصار و يصنع ضجيجاً وغناء وشماتة عظيمة إذا تمكن من أبناء الله .

* تأمل مقدار الفرح . فرح الأعاجم — بسقوط شمشون وإذلاله ؟!

* تأمل تجبر جليات الفلسطينى وتعييره صفوف الله العلى بلسان الشيطان وكبرياء العتاة حينما شعر أنه لا يستطيع أحد أن ينتصر عليه .

* تأمل كلام ربشاقى رئيس جيش سنحاريب حينما حاصر أورشليم وتكلم على مَن على السور للشعب المذلول المحاصر !؟!

إنها طبيعة الشيطان ، روح الظلمة ، المعاند والمقاوم لله . ولكن هل ينسى الرب تجبره أو يترك أولاده أو يتغاضى عن صراخ المسكين ؟ حاشا .

إن المزمور يقول « من أجل شقاء المساكين وتنهد البائسين الآن أقوم يقول الرب أصنع الخلاص علانية » .

+ إنه يخفض ضجيجه .. ويذل غناءه ، فلا تسمع صوته ولا شماتة غناءه ، بل تسمع صوت عويل ومذلة وعذاب أبدى يكابده إبليس .

+ فالفرح بإذلال شمشون لم يدم بل إنقلب على الفلسطينين أوجاع موت وخراب أبدى .

+ وتجبر جليات وكلمات الهزء والثقة بالذات والارتفاع بالكبرياء تحول إلى العكس تماماً أمام داود الصغير المؤيد بنعمة الله والمتسلح باسم رب الجنود .

+ وجيش سنحاريب تحول إلى جثث قتلى ١٨٥ ألف فى ليلة واحدة وخفت صوت ضجيجهم حول أورشليم .

هذه هى أمثلة أعمال الخلاص التى تخفض ضجيج الشيطان المشتكى على أولاد الله وتذل غناءه وتخيب أمله فى النصرة .

٦ - ويصنع رب الجنود لجميع الشعوب فى هذا الجيل وليمة سمائن وليمة خمر على دردى سمائن ممخة دردى مصفى .

٧ - ويغنى فى هذا الجيل وجه النقاب . النقاب الذى على كل الشعوب والغطاء المغطى به على كل الأمم .

+ لقد جاوز التعبير هنا حدود الإعجاز، إذ رسم الروح القدس أروع أيقونة لصليب ربنا يسوع المسيح على جبل الجلجثة وأوجه الصليب كثيرة متعددة على كل حال بمقدار ما تعددت نعم الصليب وحكمة الله فى الصليب .

ولكن هذه الأيقونة تفردت بأن رسمت المسيح المصلوب كأنه وليمة عظيمة ، أعدها الرب الإله لجميع الشعوب ولكل الأمم . وهنا يجدر بنا أن نشير إلى بعض ملامح هذه الأيقونة التى إذا تأملناها إلى أبد الدهور لن ندرك كمال بهائها ولا عظمة مجدها .

+ مع النظرة الأولى لوليمة الصليب ندرك مقدار حب الله للعالم كله إذ يدعو الرب إلى وليمته جميع الشعوب والأمم « هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد » (يو٣ : ١٦) أى أن الله ليس لشعب دون سواه ... ليس لليهود فقط بل للعالم كله .

+ حول الصليب يجتمع العالم لكه ، فى وليمة مصالحة ، لأن الصليب صالح السمائيين مع الأرضيين ، وجعل الاثنين واحداً وقتل العداوة ... وشق الحاجز المتوسط ، وبالصليب ليس عبد ولا حر ، يونانى وسكيثى ، يهودى وأممى ، ختان وغرلة .

لقد جمعت الوليمة أبناء الله المتفرقين إلى واحد .

+ إن المستحقين لآلام المسيح والذين جذبهم الصليب إليه ، مدعوون للتمتع بهذه الوليمة إلى الابد فى عشاء عرس الخروف (رؤ) .

+ ذبيحة الصليب هى ذبيحة سمائن ، خمر مصفى . لكى

تتلذذ بالدسم لابد أن تأتى إلى الصليب ، إذ أن تعب الإنسان وسعيه يعتبر كقبض الريح وكَمَنْ « يزن فضة لغير خبز وتعبه لغير شبع » (إش ٥٥ : ٢) ..

وكأن الرب ينادى على الصليب « إستمعوا إلىَّ إستماعاً وكلوا الطيب ولتتلذذ بالدسم أنفسكم » (إش ٥٥ : ٢) .

فالدسم الإلهى مكتوب عنه فى سفر التثنية عندما نطق موسى بكلام النشيد يعدد أعمال الله لإسرائيل « أركبه على مرتفعات الأرض وأرضعه عسل من حجر ... مع دسم لب الحنطة » (تث ٢٢ : ١٣) فالوليمة الدسمة هى جسد الرب (دسم لب الحنطة) ، والخمر النقى المصفى من الرواسب هو دمه الإلهى الذى سفكه عن حياة العالم (لجميع الشعوب) .

+ ويفنى فى هذا الجبل وجه النقاب ...

وعندما يقدم المسيح ذاته على جبل الجلجثة ، ينشق حجاب الهيكل الذى طالما عذب الإنسان ، إذ كانت العداوة قائمة بينه وبين الله ، وكان الحجاب يحجز الرؤيا ، ويفصل بين قدس الأقداس حيث تابوت عهد الله ، وبين الشعب الواقف خارجاً ، لذلك عندما علق الرب على الصليب إنشق حجاب الهيكل ، وصار صلح وسلام ، وأصبح لنا حق الدخول والتراءى أمام الله .

والقديس بولس الرسول قال عن جماعة اليهود أنه إلى الآن البرقع موضوع على قلوبهم ، وعتمة الرؤيا مازالت قائمة لعدم قبولهم وتمتعهم بالصليب ، وقال أن البرقع زال بصليب المسيح وأننا ناظرين إلى الرب بوجه مكشوف لأنه حيث روح الرب هناك الحرية ... حرية مجد أولاد الله .

+ من ناحية أخرى لم يكن يستعلن مجد الله فى العهد القديم إلاَّ ويحيطه دخان وسحاب كثيف وضباب ... كما حدث فى أيام موسى وإيليا ، وفى تدشين هيكل سليمان (لأنه على كل مجد غطاء) .

لكن بالصليب ، بطل النقاب ونزع الرب الغشاوة وأنار الحياة والخلود ، وحتى السحابة التى ظللتهم على جبل التجلى كانت سحابة نيرة كما يشهد الإنجيل .

+ أيضاً كان النقاب المغطى به على كل الأمم من عمل الشيطان إذ « إله هذا الدهر أعمى عيون غير المؤمنين » وصار كأنه غشاوة على العين « لهم عيون ولا يبصرون ولهم آذان ولا يسمعون » .

أو كما قال الشهيد الأول للمسيحية إستفانوس لرؤساء اليهود « غير المختونين بالقلوب والآذان »

وقد نزع الرب هذا الغطاء وأبطل عمل الشيطان وفتح القلوب والآذان وجعل العمى يبصرون والصم يسمعون .

وجمع كل الشعوب حول ذبيحة الصليب من أجل حياة أبدية .

٨ - يبلع الموت إلى الابد ، ويمسح الرب الدموع عن كل الوجوه و ينزع عار شعبه عن كل الارض لأن الرب تكلم .

ياللروعة والجلال الذى يكلل هذه الكلمات الإلهية التى أفصحت عن عمل المسيح على الصليب بجلاء ووضوح ما بعده وضوح ، وكأننا رغم عمق الزمن نقرأ فى كلمات العهد الجديد فى وصف الصليب .

(أ) يبلع الموت إلى الأ بد :

قد إبتلع الموت من الحياة ، وابتلع الموت إلى غلبة ونصرة . انتصرت الحياة فى المسيح كلمة الله على موت الخطية التى قتلت الإنسان ودخل الموت بإنسان واحد إلى جميع الناس وفى آدم مات الجميع ثم اقتحمت الحياة دائر البشر واتحدت الحياة الأ بدية بجسد الإنسان فى بطن العذراء وغلبت الحياة شـوكة الموت وكسرتها ، وقام المسيح من الأموات ناقضاً أوجاع الموت ، حقاً لقد ابتلع الموت إلى الأ بد .

(ب) ويمسح السيد الرب الدموع عن كل الوجوه :

وقد رآها القديس يوحنا الحبيب ، فى السماء تتم فى المجد الأبدى فى نفوس اللابسين الثياب البيض التى بيضوها وغسلوها فى دم المسيح الحاملين لسعف النخل سائرين فى موكب النصرة والقيامة ... حين قال « وسيمسح الله كل دمعة من عيونهم » (رؤ ٢١ : ٤) وقال مؤكداً على نهاية الموت « والموت لا يوجد فيما بعد » هذا هو كمال مجد القيامة حين يتمتع بها أولاد الله الذين سيحسبون أهلاً للقيامة ، الذين لن تمح أسماؤهم من سفر حياة الخروف .

+ المسيح بصليبه مسح الدموع عن كل الوجوه ، لأن أوجاعنا حملها وآثامنا وأتعابنا تحملها .

لقد بكى يسوع وفى المقابل كان يجفف دموع البشرية كلها ولما قام من الأموات قال للمجدلية لماذا تبكين ؟ مَنْ تطلبين ؟ فدموع يسوع صارت عوضاً عن دموع الخطاة والساقطين والمنسحقين أليس هذا ما صنعه مع أرملة نايين ، حين مسح الدموع عن وجهها وبدل حزنها إلى فرح بالقيامة من الأموات .

+ هكذا أيضاً سيحول الرب حزن الذين يبكون و ينوحون والعالم يفرح ، الذين يبكون دموع التوبة والحنين إلى السماء والذى يبكون و يئنون من أجل الرجاسات والذين يتألمون بشكر والذين يتوقعون ملكوت الله بصبر وسهر ، وعيونهم ملأى بدموع الرجاء ، سيمسح الله الدموع عن كل الوجوه .

(جـ) و ينزع عار شعبه :

« عار الشعوب الخطية » كما هو مكتوب فى سفر الأمثال ، وقد نزع الرب عار شعبه عندما حمل خطاياهم على الصليب ومن أجل السرور الموضوع أمامه إحتمل العـار مستهيناً بالخزى . والذى لم يعرف خطية صار خطية لأجلنا لنصير نحن بر الله فيه . لقد عُلق على الصليب عرياناً فستر عراء البشرية التى عرتها الخطية منذ اللحظة الأولى حينما تعرى أبونا آدم وأراد أن يستر ذاته بورق التين .

ليس بأحد غيره الخلاص ، وليس طريق آخر لنزع العار ... عار الخطية سوى ذبيحة الصليب الذى به حمل المسيح عارنا وأسلم من أجل خطايانا وقام لأجل تبريرنا .

٩ - ويقال فى ذلك اليوم هوذا هذا إلهنا إنتظرناه فخلصنا هذا هو الرب إنتظرناه . نبتهج ونفرح بخلاصه .

لقد تعين ابن الله بقوة من جهة روح القداسة ، وهو على عود الصليب والذين نظروا الصليب إستناروا ووجوههم لم تخجل بل صار يوم الصليب لهم يوم التسبيح و يوم إكتشاف قوة الله ، هكذا صار الصليب للمنتظرين والمترجين الخلاص . ألم تتهلل حنة بنت فنوئيل مع المنتظرين الخلاص . وسمعان الشيخ أيضاً ، حين أدركهم المخلص وهو بعد إبن أربعين يوماً ؟ يومها رأو الصليب علامة الخلاص قائلين :

« مبارك الرب الذى إفتقد وصنع خلاصاً لشعبه » ومنذ ولج مخلصنا الصالح دائرة بشريتنا متحداً بها بالجسد ، دخل الفرح والإبتهاج والسرور إلى العالم كمثل ما سمع من الملائكة فى ليلة الميلاد « المجد لله فى الأعالى وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة » .

١٠ - لأن يد الرب تستقر على هذا الجبل ويُداس موآب فى مكانه كما يُداس التبن فى ماء المزبلة .

يد الرب ويمينه تعنى كلمته ، ابنه الوحيد ، كما قال إشعياء

فى (ص٥٣) « لمَنْ إستعلنت ذراع الرب » . وكما قال أيضاً « استيقظى إلبسى قوة يا ذراع الرب ألستِ أنتِ المنشفة البحر ؟ » .

وإشعياء هنا يخبر أن يد الرب تستقر فى جبل صهيون ، أى كما تنبأ زكريا النبى أن الرب يأتى و يسكن فى وسطها إلى الأ بد (زك٨ : ٣) .

فحلول الكلمة هنا ليس حلولاً مؤقتاً وظهوراً عابراً كما حدث فى العهد القديم فى رموز الخلاص ، ولكنه إستقرار وسكنى . إذ بعد أن أخذ الرب طبيعتنا وتجسد متحداً بها وجعلها واحداً مع لاهوته ، لا يعود يتخلى عنا أو يتركنا أو أو ينفصل عن ناسوته لحظة واحدة ولا طرفة عين ...

والأمر الموازى لحلول الله ونزوله وسكناه بيننا ، هو إنهيار الشيطان وانسحاقه وكسر شوكة الخطية وسلطانها .

لذلك قال يداس موآب (رمز الشيطان) فى مكانه ، لأن الرب انتصر لنا عليه فى مكانه (فى القفر على جبل التجربة) .
وفى مكان فى النفوس التى كان متسلطاً عليها وساكناً فيها .
وفى مكانه عندما نزل إلى الجحيم وسبى سبياً وأعطى الناس

كرامات ، وخلص آدم وبنيه المنتظرين خلاصة من سجن الجحيم وذات التعبير النبوى « يداس موآب » هو الذى إستعمله الإنجيل . إذ قد داس الرب الموت بموته ، ووطىء العدو حتى إلى التراب ، وأعطانا السلطان أن ندوس الحياة والعقارب وكل قوة العدو .

+ ويزيد إشيعاء أيضاً ليؤكد أن الموضوع ليس مجرد نصرة عادية على الشيطان بل يصف تفاصيل سقوطه وضعفه قائلاً :

١١ - فيبسط يديه فيه كما يبسط السابح ليسبح فيضع كبرياءه مع مكايد يديه .

ولك أن تتصور هذا المنظر ، إنه سقوط عظيم ، قد وصفه الرب يسوع لتلاميذه قائلاً « رأيت الشيطان ساقطاً من السماء مثل البرق » .

لقد تحطم كبرياء الشيطان ، وإنكسرت فخاخه وحيله (مكايد يديه) . فمَنْ يخاف منه بعد ؟ إن الآباء القديسون ضربوا أروع الأمثلة فى النصرة عليه . متمسكين بالصليب وسائرين فى موكب النصرة الذى قادهم فيه يسوع الناصرى المصلوب . لقد صار الشيطان ضعيفاً منطرحاً مغلوباً وساقطاً عند أقدام القديسين . لقد إنطرح شيطان محبة المال عند قدمى القديس أنطونيوس وسقط

شيطان الدنيونة صريعاً تحت قدمي القديس مقاريوس . وتبدد شيطان الزنى مخزياً عند قدمي مار جرجس ، ومريم المصرية التائبة ، وموسى الأسود .

لقد غلبوه حقاً وداسوا بعز ورنموا ترانيم الخلاص إلى أبد الدهور .

١٢ ـ وصرح إرتفاع أسوارك يخفضه يضعه يلصقه بالأرض إلى التراب .

علة الشيطان الأولى هى الكبرياء ، وعمل المسيح الأعظم هو الإتضاع ، فالمسيح باتضاعه الإلهى دان كبرياء الشيطان ، واحدره إلى هوة الهلاك ، وقد إندكت أسوار المدينة العاتية ، قرية الهلاك ، مملكة الكبرياء بتجسد الكلمة وموته على الصليب ، وقيامته ونصرته على الموت . أما المدينة التى لها الأساسات فصارت أسوارها خلاصاً ، وإرتفعت راية الخلاص على جبل صهيون ، بشرى للمتضعين أن الرب سيرفعهم فى زمان الافتقاد .

حقاً أنزل الأعزاء عن الكراسى ورفع المتضعين .

إفرحوا يا أسرى الرجاء واهتفوا وترنموا أيها المستقيمى القلوب .

الأصحاح ٢٦

١ ـ فى ذلك اليوم يغنى بهذه الأغنية فى أرض يهوذا . لنا مدينة قوية . يجعل الخلاص أسواراً ومترسة .

فى اليوم الذى يعظم الرب الصنيع ويصنع الخلاص ، يوم يفدى نفوس عبيده من سطوة الخطية وسلطان إبليس ويكسر الموت ويهرب الحزن ووجع القلب . فى ذلك اليوم يغنى ويبتهج كل قلب ويسبح كل لسان لأن التسبيح ينبع تلقائياً عند إستعلان الخلاص والنجاة فحينما خلص الرب شعبه فى القديم من يد فرعون ومن العبودية المرة وأخرجهم بذراع رفيعة ، حينئذ سبح موسى وجميع إسرائيل تسبحة الخلاص (خر١٥) .

وحينما خلص الرب شعبه من يد سيسرا فى أيام دبورة النبية تغنت هى أيضاً ودعت الشعب للتسبيح (قضاة ٥) .

وحينما بدد الرب المؤامرة التى كانت لإبادة شعبه فى أيام أستير الملكة أرسلت إلى جميع شعبها أن يكون لهم فرح وسرور وأعياد وموسم تسبيح ولشكر الرب فإنه صالح (أس٨) .

وجميع قصص رموز الخلاص فى العهد القديم وحقيقة التمتع بها فى العهد الجديد كان التسبيح هو الثمرة الملازمة لعمل الله . إذ لابد أن يفيض القلب بكلام صالح للذى يقودنا فى موكب نصرته .

وهنا أغنية الخلاص فيها إفتخار ونغمات نصرة وقوة ،

لنــا مدينــة :

المدينة القوية هى أورشليم السماوية ، مدينة الله ، ومسكن الله مع الناس .

كان القديس بولس الرسول يذكر أن أورشليم الأرضية مستعبدة مع جميع بنيها أما أمنا جميعاً . نحن أبناء الموعد نظير إسحق فهى حـرة كمثل سارة التى ولدت الابن بالوعد الإلهى .

والمدينة القوية هى الكنيسة ، قوية بالميسح وبصنيعه معها .

+ قوية لأنها مؤسسة على المسيح صخر الدهور .

+ قوية ومرهبة مثل جيش بألوية ، مستندة على ذراع حبيبها .

+ قوية مخيفة للشياطين ، لها سلطان المسيح فيها أعطاه لتلاميذه الأطهار أن يخرجوا الشياطين ويدوسوا الحيات والعقارب وكل قوة العدو .

+ قوية فأبواب الجحيم لن تقوى عليها ثابتة أقوى من الجبال .

+ قوية أقوى من الموت .. بل أنها لا ترهب الموت ... فيها الشهداء الذين إحتقروا الموت وفيها النساك الأقوياء الذين قهروا العالم والشهوات ، وفيها القديسون والأبكار ولباس الصليب الذين تقووا من ضعف وصارت إليهم كلمة المسيح « قوتى فى الضعف تكمل » .

+ هى كنيسة قوية من كل ناحية ومتشددة كونها عروس المسيح التى إشتراها بدمه . والساكنون فى الكنيسة متمتعون ببركات الفداء وأسرار الملكوت يغنون دوماً وبلا انقطاع تسبحة الغلبة والإنتصار ، تسبحة القيامة وهزيمة الموت والشيطان ... تسبحة موسى عبد الرب ويقولون « لنا مدينة قوية » .

يجعل الخلاص أسواراً ومترسة :

هذه الكنيسة ـــ مدينة الله ـــ أسوارها ومتاريسها هى الخلاص الذى صنعه الرب يسوع بدمه على الصليب .

وأسوار الخلاص يركض إليها الصديق ويتمنع ولا يستطيع العدو بكل جبروته أن يجتاز أو يقتحمها . بل يسقط صريعاً

ومنسحقاً عند صليب يسوع وأسوار الخلاص تحمى المفديين فلا يصيبهم سهم من سهام الشرير الملتهبة . وأسوار الخلاص عالية ، لا يدرك العقل كمال إرتفاعها كما رآها القديس يوحنا فى رؤياه .

وأسوار الخلاص مخدومة من الملائكة .. على أسوارك يا أورشليم أقمت حراساً لا يسكتون كل النهار ولا كل الليل ، ملاك الرب يحوط بكل خائفيه و ينجيهم ...

٢ ـ افتحوا الأبواب لتدخل الأمة البارة الحافظة الأمانة .

القديس يوحنا الرائى رأى مدينة لها إثنا عشر باباً من الشرق ثلاثة أبواب ومن الغرب ثلاثة أبواب ومن الشمال ثلاثة أبواب ومن الجنوب ثلاثة أبواب .

وقد سبق أن رآها فى القديم حزقيال النبى ووصف مجدها بقياسات سماوية تحتاج إلى نعمة روحية للدخول إلى أسرارها .

فالأبواب الإثنى عشر هم على رسم رسل المسيح الأطهار « قد بنى سور المدينة على إثنى عشر لؤلؤة مكتوب عليها أسماء رسل الخروف الإثنى عشر » فالمؤمنون الذين يستحقون هذا النصيب الفاخر بأن تكتب أسمائهم فى سفر الحياة يكونوا مبنين على أساس الرسل والأنبياء و يسوع المسيح نفسه حجر الزاوية . فإن كان

الرب يسوع هو الباب والطريق الذى به صار لنا الدخول إلى النعمة التى نحن فيها مقيمون ، فالرسل الأطهار الذين أرسلهم إلى أقصاء المسكونة صاروا أساسات سور أورشليم وأبوابها الاثنى عشر. إذ بدون الإيمان المسلم مرة للقديسين من الرسل الأطهار يستحيل على النفس العبور أو الوصول إلى مدينة الله .

لذلك فهو يعبر عن الداخلين أنهم « الأمة البارة الحافظة الأمانة » والإنسان ذو الرأى الممكن . أى الحافظون الإيمان الثابتون فيه ، الذين لم يتتزعزعوا ، لا بروح ولا برسالة ، ولم ينقادوا إلى تعاليم متنوعة وغريبة بل تمسكوا بإقرار الرجاء ثابتاً إلى النهاية .

إفتحوا الأبواب :

فالذين حفظوا الإيمان وأكملوا السعى سوف يسمعون هذا الصوت الإلهى القائل « إدخلوا إلى فرح سيدكم » . وعوض الباب الضيق الذى إختاروه والطريق الكرب الذى ساروا فيه سينالوا عزاءً أبدياً عندما تفتح لهم أبواب مراحم وحب لا يعبر عنه ويكونون مع الرب كل حين .

٣ - ذو الرأى الممكن تحفظه سالماً سالماً لأنه عليك متوكل .

الرب حافظ نفوس عبيده المتوكلين عليه ، هو يرسل ملائكة فيحفظونهم ، ويحملونهم على أيديهم لئلا تعثر بحجر أرجلهم .

وفى تكرار كلمة سالماً تأكيد يلذ للنفس أن تتأمله لتزداد ثقتها ويكمل يقينها ، مهما بلغت الضيقات مثل جب الأسود فى حياة دانيال ، أو أتون النار فى حياة الثلاثة فتية القديسين ، أو التجارب فى حياة أيوب ، أو شكوى الناس فى حياة أرميا ، أو الاضطهادات فى حياة الرسل والقديسين أو حروب الشياطين فى حياة الأبرار والنساك فى كل جيل .

فوعد الرب قائم أنه يحفظه سالماً سالماً ، لأن مواعيده بلا ندامة ورحمته إلى جيل الأجيال لخائفى اسمه وحافظى وصاياه . لذلك يقول :

٤ - توكلوا على الرب إلى الابد لأن فى ياه الرب صخر الدهور .

لأن الإتكال على الرب خير من الإتكال على بنى البشر ، الرجاء بالرب خير من الرجاء بالرؤساء . ولأن المزمور يقول لأنه

إتكل عليّ فأنجيه أستره لأنه عرف اسمي .

والاسم العظيم ياه الرب (أى أهية أو يهوه أنا كائن) . هو الذى استعلن فى القديم لموسى ورأى الشعب قدرته فى الخلاص ويمينه التى صنعت قوة ، وذراعه التى شقت البحر وجبروت خلاص يمينه ليس للماضى بل وللمستقبل أيضاً لأنه هو هو أمس واليوم وإلى الأ بد .

٥ ـ لأنه يخفض سكان العلاء يضع القرية المرتفعة يضعها إلى الأ رض يلصقها بالتراب .

٦ ـ تدوسها الرجل رجلا البائس أقدام المساكين .

لقد رفع الرب المتضعين ، ونظر إلى المنسحقين وخائفي الرب والمرتعدين من كلامه . وطوب المساكين بالروح والقلب المنكسر لم يرذله . وجعل أسواراً ومترسة حول مختاريه الذين رفعهم مثل البائس من المزبلة ومثل العاقر التى صارت ساكنة فى بيت أم أولاد فرحة . أما مملكة الشيطان ـــ مملكة الكبرياء فسحقها وأنزل الأعزاء عن الكراسى وداسهم بصليبه وكسر شوكة الموت وتجبر الشيطان سحقه .

ومن الأمور التى يحلو لنا أن نتأملها أن مسكن الأ برار سماها

(مدينة قوية) أما مملكة الشيطان فقد دعاها (القرية المرتفعة) . فهي إذن ضعيفة وحقيرة إذا ما قورنت بالمدينة القوية ... إذاً بعدما سحق الرب الشيطان بصليبه لم يعد له قوة مخيفة ، ولا سلطان بل صار يجول ملتمساً أن يتبلع واحد ، ولكنه ليس أسداً حقيقياً بل كأسد وقال أيضاً قاوموه راسخين فى الإيمان ، وقيل أيضاً قاوموا إبليس فيهرب منكم ، ولا يهرب إلاَّ الضعيف الخائف فطالما تحصنت النفس فى أسوار الخلاص بدم المسيح ، صارت مملكة الشيطان وحيله وفخاخه وكل جنوده وقواته الشريرة صاروا (قرية صغيرة) . حقيرة الشأن ولكن الفضل للمسيح فقط هو الذى خفض سكان العلاء أى مملكة الكبرياء . أشهرهم جهاراً وظفر بهم بصليبه ، وداس الموت بموته وأعطى أولاده السلطان أن يدوسوا الحيات والعقارب وكل قوة العدو كما رجع الرسل قائلين يارب حتى الشياطين تخضع لنا باسمك ... فقال لهم يسوع رأيت الشيطان ساقطاً من السماء مثل البرق .

٧ ـ طريق الصديق إستقامة ، تُمهد أيها المستقيم سبيل الصديق .

الرب مستقيم فى جميع طرقه ، ليس عنده تغيير ولا شبه ظل دوران وهو يفرح بالمستقيمين فى قلوبهم ويُسر بالصديقين ويفرح

قلوبهم ، وهو يمهد طريق الصديق ، يزيل العقبات و يهدم الكبرياء و يرفع المنخفضات وتصير العراقيب سهلاً بلا إلتواء و بلا كبرياء .

٨ - ففى طريق أحكامك يارب إنتظرناك . إلى اسمك وإلى ذكرك شهوة النفس .

٩ - بنفسي إشتهيتك فى الليل . أيضاً بروحي فى داخلي إليكن أبتكر لأنه حينما تكون أحكامك فى الأرض يتعلم سكان المسكونة العدل .

أحكام الرب حق وعادلة ، وطرق الرب مستقيمة ، وكلام الرب كلام نقى ، ومواعيد الرب صادقة وأمينة ، وأعماله كلها بحكمة صنعت .

وأولاد الله فى كل زمان ومكان يلذ لهم أن يتأملوا أحكام الله وأعماله و ينتظروا خلاصه وتكميل مواعيده وصدق كلامه ، ينتظرون الرب بلا قلق لا تضطرب قلوبهم ولا تجزع ، وبلا خوف ، و بلا شك فى الإيمان . كما قال موسى للشعب فى القديم « قفوا وانظروا خلاص الرب . الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون » .

يكفى أن تقف النفس وتراقب إله خلاصها ، فتمجده على أحكام عدله . الإنسان كثير القلق متسرع دائماً يتعجل الأمور ... لكنه مكتوب « لأنكم تحتاجون إلى الصبر » .

الإيمان ينتظر فى طريق أحكام الله بصبر وثقة مثل إبراهيم أب الآباء يسير فى الطريق بحسب أمر الرب « سر أمامى وكن كاملاً » .

وفى الوقت المعين من الله تكمل أحكام الله .

إنتظر الرب ... تقو وليتشدد قلبك وانتظر الرب ، من محرس الصبح إلى الليل ، ولكن بيقين شديد وثقة كاملة فى أن الذى وعد هو صادق وأنه سيأتى الآتى ولا يبطىء .

إنتظر فى طريق أحكامه وحفظ وصاياه وهو لابد آتٍ ولو فى الهزيع الرابع . انتظر الرب فى طريق أحكامه حتى الصليب وهو لابد آتٍ قائماً من الأموات ليشرق على الجالسين فى الظلمة وظلال الموت .

لأن جميع الذين ينتظرون الرب لا يخزون .

+ وإلى اسمك وإلى ذكرك شهوة النفس .

منتظروا الخلاص نظروا المواعيد من بعيد وحيوها ، نظروها فى

رموز وظلال ، وراقبوها فى الرؤى والأحلام وتطلعوا إلى شبه السماو يات وظلها ولكنهم صدقوها بكل القلب وآمنوا بها كل الإيمان .

وكم طال إنتظارهم إلى آلاف السنين ولكن من جيل إلى جيل كان الإيمان ينمو والترقب يزداد والشوق إلى النجاة والرجوع إلى حضن الآب يبلغ ذروته . وهنا يعبر إشعياء النبى عن شوق النفس الساهرة لاستعلان اسم الخلاص الذى لربنا يسوع المسيح .

إسمه يسوع لأنه يخلص شعبه من خطاياهم .

وإشعياء النبى نفسه قد تكلم عن الاسم المبارك قائلاً « يدعون اسمه عمانوئيل الذى تفسيره الله معنا » ، وقال أيضاً « يدعى اسمه عجيباً مشيراً إلهاً قديراً أباً أبدياً رئيس السلام » . إلى هذا الاسم وإلى ذكره شهوة النفس لأن قوة الخلاص كائنة فى اسم يسوع المسيح .

ألم يقل الرب للتلاميذ « تخرجون الشياطين باسمى » . وقد أجرى الرب على أيدى الرسل آيات غير المعتادة باسم يسوع وهم قالوا « حتى الشياطين تخضع لنا باسمك » . و بطرس الرسول عند باب هيكل الجميل قال للأعرج « باسم يسوع المسيح لك أقول قم وامشى » فوقف وصار يمشى ودخل الهيكل وهو يطفر و يسبح الله

وقد شهد بطرس أمام مجمع اليهود أنه باسم يسوع الناصرى « وقف هذا أمامكم صحيحاً » مكملاً حديثه « ليس بأحد غيره الخلاص لأن ليس اسم آخر تحت السماء قد أعطى بين الناس به ينبغى أن نخلص » .

هذا هو اسم الرب البرج الحصين الذى يركض إليه الصديق ويتمنع ... مشتهى الأجيال كلها ، ما أجمل كلمات هذه النبوة « إلى اسمك وإلى ذكرك شهوة النفس » .

٩ - بنفسى إشتهيتك فى الليل أيضاً بروحى فى داخلى إليك أبتكر. لأنه حينما تكون أحكامك فى الأرض يتعلم سكان المسكونة العدل .

هذه هى ذات الكلمات التى صلى بها داود فى المزمور « يا الله إلهى إليك أبكر لأن نفسى عطشت إليك » .

إنه ذات الإحساس الواحد الذى ربط القديسين بالله ، شوق وعطش ، فبكروا كل يوم بمشاعر ملتهبة بالحب الإلهى . ففى ليل التجارب وظلام الأزمنة السحيقة وسلطان روح الظلمة رئيس هذا العالم . لم تخضع أرواح الأبرار للظلمة بل كانوا ينظرون إلى المواعيد من بعيد ويحيوها .

وصار هذا المسلك الروحى هو المنهج العام للآباء فى كل جيل يبكرون إلى الرب كل يوم « سبقت عيناى وقت السحر ». و يسمعون صوت الرب « الذين يبكرون إلىَّ يجدوننى » . على أن التبكير والنهوض بهذا الدافع القوى ، يكشف عن أمانة النفس لله وإنحيازها بالكلية للذى أحبها وأسلم ذاته لأجلها ، وفى نفس الوقت تظهر النفس كعروس نشيطة غير مستسلمة للنوم والغفلة بل حارة فى الروح حتى ولو نام الجسد كحاجة الطبيعة .. ولكن بنفسى إشتهتيك .. و بروحى إليك أبتكر أو كما تقول عروس النشيد « أنا نائمة وقلبى مستيقظ » .

١٠ - يُرحم المنافق ولا يتعلم العدل . فى أرض الاستقامة يصنع شراً ولا يرى جلال الرب .

فإن كانت مراحم الله للخلاص تصير سبب تهليل وفرح الصديقين أولاد الله وتسبيحهم المدينة القوية وأسوار الخلاص وتصير نفوسهم فى أشواق بالمحبة الإلهية تبكر للصلاة والشكر . فإن هذه الأمور كلها لا قيمة لها بالنسبة للمنافق الرافض للحق الإلهى وغير المتمتع ببركات الخلاص فتصير كثرة المراحم علة بالأكثر للوقوع تحت الدينونة .. « لأن الإيمان ليس للجميع » . لذلك قال « يرحم المنافق ولا يتعلم العدل » . فبالرغم من أن الرب يسكب

من مراحمه عليه إلاَّ أنه لا يتحرك قلبه نحو الله بل يزداد قساوة .. كمثل يهوذا الخائن الذى لم ينتفع من مراحم المسيح وإحسانه ولطفه وطول أناته ولم يتعلم العدل ولا الحق .

ففى أرض الاستقامة يصنع شراً ولا يرى جلال الرب ...

وهذا ما قد يوجد فى الكنيسة « أرض الاستقامة » متى عاش فيها المنافق فإنه يسلك بفساد يصنع الشر ولا توجد مخافة الرب قدام عينيه ... بعكس الصديق الذى يقول « كيف أصنع هذا الشر العظيم وأخطىء إلى الله » فالصديق يقول « جعلت الرب أمامى فى كل حين » .

أما الشرير فليس خوف الله أمام عينيه ... ومتى غاب حضور الله من عينى الإنسان فإنه فى الظلمة يسلك والظلمة قد أعمت عينيه ..

١١ ـ يارب إرتفعت يدك ولا يرون ، يرون ويخزون من الغيرة على الشعب وتأكلهم نار أعدائك .

١٢ ـ يارب تجعل لنا سلاماً لأن كل أعمالنا صنعتها لنا .

١٣ ـ أيها الرب إلهنا قد إستولى علينا سادة سواك . بك وحدك نذكر اسمك .

١٤ ـ هم أمواتاً لا يحيون . أخيلة لا تقوم . لذلك عاقبت وأهلكتهم وأبدت كل ذكرهم .

يرفع إشعياء صوته بالشكوى ضد الذين صاروا رؤسا الشعب ولكنهم ليسوا من الله ، أقاموا أنفسهم أو أقامهم الناس ، لذلك قال عنهم « إستولى علينا سادة سواك » أو كما قال الرب بفم هوشع النبى « أقاموا ملوكاً وليس منى » (هو٨ : ٤) .

وإذ كان الرؤساء ليسوا من الله فإن أحكام الله وأعماله تصير غريبة عنهم لا يعرفونها ولا يدركونها .

فارتفعت يد الرب ولكن لا يرون ، إنطمست البصيرة التى تميز يد الرب وأعماله ، لهم عيون ولا يبصرون كما قال الرب يسوع . بل ان الوحى الإلهى يسجل أنهم رغم ما يبدو عليهم من مظاهر الحياة والسلطان والتسلط لكنهم « أموات لا يحيون أخيلة لا تقوم » . إذن ليكن مفهوماً أن الحياة الحقيقية هى الوجود فى الله والوجود مع الله ، وحفظ وصاياه ورؤية يده العاملة وسلطانه فى كل شيء أما دون ذلك فهو الموت والعدم والفساد .

والسؤال ما هو مركز أولاد الله حينما تجرى الأمور على هذا النحو، و ينحرف الشعب بعيداً عن الله و يتسلط الرؤساء الذين

ليس لهم معرفة الله وليس خوف الله أمام عيونهم ؟

يرد إشعياء النبى قائلاً « يارب تجعل لنا سلاماً » .

فأولاد الله يحصلون فى وسط العالم على سلام الله الذى يفوق كل عقل ، « سلامى أترك لكم سلامى أعطيكم ، ليس كما يعطى العالم أعطيكم أنا لا تضطرب قلوبكم » .

وهذا السلام الإلهى يغلب الضيقات والتجارب وتحديات الزمن والاضطهادات و... إلخ .

وهذا السلام نابع من وجود الله ــ عمانوئيل الذى تفسيره الله معنا . وهو سلام يستند على رؤية أكيدة ، فالأشرار « إرتفعت يد الرب ولا يرون » (ع ١١) . فى حين أن أولاد الله يرون خلاص الرب و يده الرفيعة تعمل العجائب .

« قفوا وانظروا خلاص الرب ... يمينك يارب معتزة بالقوة » (خر١٥) .

لذلك يؤكد إشعياء على أن الرب صنع كل الأعمال « كل أعمالنا صنعتها لنا » ونحن نقف وننظر أعمال الله ... والمدينة القو ية وأسوار الخلاص ونسبحه على كثرة رحمته فيصير فينا سلامه

وهذا السلام مرتبط بذكر اسم الخلاص الذى لربنا يسوع

المسيح « بك وحدك نذكر اسمك » (ع ١٣) .

وهو ليس من ذواتنا فنحصل على السلام بل كما شهد الرسولان بطرس و يوحنا عندما شفيا الرجل الأعرج وشهدا أمام رؤساء الكهنة قائلين إنه « ليس بقوتنا أو تقوانا فعلنا هذا ... بل باسم يسوع » .

+ هذا السلام لا يضطرب لأنه لا ينحصر فى الحاضر بل يرتكز على رؤية مستقبلية لنهاية الشر والأشرار « عاقبت وأهلكت وأبدت ذكرهم » (ع ١٤) . وهذا يطمئن نفوس أولاد الله و يعزيهم إذ ينظرون إلى ما لا يرى فيبتهجون بفرح لا ينطق به ومجيد .

١٥ ـ زدت الأمة يارب زدت الأمة . تمجدت وسعت كل أطراف الأ رض .

١٦ ـ يارب فى الضيق طلبوك . سكبوا مخافته عند تأديبك إياهم .

١٧ ـ كما أن الحبلى التى تقارب الولادة تتلوى وتصرخ فى مخاضها هكذا كنا قدامك يارب ..

١٨ ـ حبلنا تلوينا كأننا ولدنا ريحاً . نم نصنع خلاصاً فى الأ رض ولم يسقط سكان المسكونة .

١٩ ـ تحيا أمواتك وتقوم الجثث . إستيقظوا ترنموا يا سكان التراب ، لأن طللك طلّ أعشاب والارض تسقط الأخيلة .

فى هذه الآيات تتجلى قوة الخلاص الذى صنعه الرب يسوع صانع النعمة المحسن لنفوسنا ، لأنه ليس بالقوة ولا بالقدرة ولا بذراع إنسان يصير الخلاص بل بروحى قال رب الجنود ونستطيع أن نلخص المبادىء الهامة التى تصير ركيزة لفكرنا ومنهجاً لسلوكنا :

١ ـ أن قدرة الإنسان على الخلاص منعدمة تماماً بلا قيمة لأن كل بر يحسب كخرقة دنسة .

وقد شبهها إشعياء النبى تشبيهاً رائعاً « حبلنا تلوينا كأننا ولدنا ريحاً . لم نصنع خلاصاً على الأرض » .

هكذا كان الأنبياء والآباء فى القديم إذا لم يكن الخلاص من الخطية فى مقدور الناس ...

فمهما تعب الإنسان وتلوى بكل الجهادات التى فى طاقته لكى يلد الخلاص والغفران والسلام مع الله وكل بركات العهد الجديد فإنه يكون كمَنْ يلد ريحاً ... باطلاً يتعب كقبض الريح .

٢ ـ الخلاص الذى يصنعه المسيح الرب هو قيامة من الأموات

تحيا أمواتك تقوم الجثث ، وهذا ليس فى مقدور الناس بل هو وحده الذى يحيى الأموات و يدعو لعازر من القبر ، وفى ساعة موته تشققت القبور وقام كثير من أجساد والقديسين ، بل إنه لما قام من الأموات أقامنا معه وأجلسنا معه فى السماو يات وهذا هو الطريق الوحيد للخلاص إذ ليس اسم آخر أعطى بين الناس بيه ينبغى أن نخلص إلاَّ اسم يسوع . لانه هو القيامة والحياة ومَنْ « آمن به ولو مات فسيحيا » وقد إستودع الكنيسة روحه القدوس الذى حل على الرسل يوم الخمسين كروح الحياة الذى هب على العظام اليابسة كما رآه حزقيال النبى .

وقد أعطى الكنيسة أيضاً جسده الحى المحيى حاضراً كل يوم على المذبح لكى كل مَنْ يتناول منه يحيا إلى الأ بد (يو٦) .

٣ ـ إشعياء النبى ببوق النبوة يبشر بشرى قيامة المسيح من الموت « استيقظوا . ترنموا يا سكان التراب » .

لأن الموت كان الرب يدعوه نوماً « لعازر حبيبنا قد نام » قال هذا عن رقاد الموت ... وقال أنا أذهب لأ وقظه .

فالأموات يقومون فى المسيح وسكان التراب يترنمون و يسبحون الذى أنهضهم بقيامته .

٤ ـ أما الكنيسة التى ولدت بقيامة المسيح فإنها إزدادت وكان الرب يضم كل يوم الذين يخلصون ، وكانت كلمة الرب تنمو وتزداد وكانت الكنائس تبنى وتسير فى خوف الله وبقوة الروح القدس كانت تتكاثر.

ولم تزل كلمة الرب تنمو وتزداد وملكوت المسيح ينتشر إلى يوم ظهوره المخوف .

لذلك يراها إشعياء هكذا ويمجد الله من جهتما قائلاً : « زدت الأمة يارب زدت الأمة » .

كما يراها كنيسة كائنة من أقصاء المسكونة إلى أقاصيها ، ممتدة إلى أطراف الأرض « وسعت كل أطراف الأرض » .

لأن الرسل الذين أرسلهم الرب للكرازة ، إلى أقصاء المسكونة بلغت أصواتهم .

٢٠ ـ هلّم يا شعبى إدخل مخادعك واغلق أبوبك خلفك إختبىء نحو لحيظة حتى يعبر الغضب .

٢١ ـ لأنه هوذا الرب يخرج من مكانه ليعاقب إثم ساكن الأرض فيهم فتكشف الأرض دمائها ولا تغطى قتلاها فيما بعد .

أخيراً ينادى الله مختاريه الذين حسبوا أهلاً للنجاة والتمتع بالخلاص الذى صنعه الرب يسوع بدم صليبه .

هلم يا شعبى أدخل مخادعك ، تحت ظل الصليب ، فى حماية ابن الله ، مخادع الصلاة التى قال عنها الرب يسوع بعيداً عن المظهرية الكاذبة وأبوك الذى يرى فى الخفاء يجازيك علانية لقد فضح الرب القبور المبيضة وفتح باب الحياة السرية والعمل فى الخفية .

الدخول إلى المخادع معناه الدخول إلى العمق فى الخفاء .

الدخول إلى المخادع فى ستر العلى فى ظل الإله القدير .

إختبره داود النبى وسبح الرب الذى أخفاه فى خيمته فى يوم شدته وستره بستر جناحيه .

وأغلق أبوابك خلفك ، الأبواب التى تقدست بدم الخروف مع العتبة العليا صارت علامة للنجاة فقال الملاك « أرى الدم وأعبر عنكم » فاختبأ الشعب المفدى فى المخادع خلف الأبواب يحتمون فى دم الذبيحة فخلصوا من الهلاك .

كان هذا مثالاً للذين يحتمون فى ظل الصليب فينالوا خلاصاً أبدياً بدم المسيح .

« نحو لحيظة » هذا هو زمن الضيق بالنسبة لأولاد الله .

إنه يحسب أقل من لحظة (لحيظة) إذا قيس بالأبدية والمجد الذى لا يستقصى والتمتع الدائم فى الأحضان الأبوية .

+ إن وقت الضيق والغضب ، لا يقاس بالمجد العتيد أن يستعلن .

+ إن الرب قال عنه أنه ساعة ... سريعاً ما تعبر ، فى ساعة القبض عليه فى البستان قال لهم « هذه ساعتكم وسلطان الظلمة » فسلطان الظلمة إلى ساعة أما مجد المسيح ونور القيامة فإلى أبد الأبدين ودهر الداهرين .

+ وبالنسبة لآلام المختارين قال الرب المرأة وهى تلد تحزن لأن ساعتها قد جاءت لكنها لا تعود تتذكر الشدة بسبب الفرح فآلام الولادة ساعة أما الفرح الذى يتبعها فدائم لا يزول .

« أنتم الآن تتكبدون حزناً ولكننى أراكم فتفرح قلوبكم ولا يستطيع أحد أن ينزع فرحكم منكم » .

+ لذلك قال النبى فى موضع آخر « لحيظة تركتك وبمراحم أبدية سأجمعك بفيضان الغضب حجبت وجهى عنك لحظة وبإحسان أبدى أرحمك قال وليك الرب » (٥٤ : ٧، ٨) .

فلا يمكن أن يقاس زمان الغضب بزمان المراحم والإحسان الإلهى الذى قدمه المسيح على الصليب حين فتح يديه وجمع كل واحد فى جسده الذى هو الكنيسة على أن النبى لا يخفى أن الرب يخرج من مكانه .

يخرج من مكانه . (مشيراً إلى التجسد) ليعاقب إثم سكان الأرض وهذا ما فعله الرب على الصليب إذ دان الخطية فى الجسد فليس الهدف من التجسد والصليب إلاَّ خلاص الإنسان ودينونة الخطية لكى تصير الخطية خاطئة جداً فهو سيعاقب (الإثم) و يفضح الخطية و يسمرها بالصليب .

الأصحاح ٢٧

نادى الرب شعبه ومختاريه فى الآيات الأخيرة من الأصحاح السابق أن يهرعوا ليختبئوا تحت ظل جناحيه فى المسكن غير المصنوع بيد الذى ليس من هذه الخليقة أى جسده الذى أخذه من العذراء القديسة مريم وجعله واحداً مع لاهوته ... قائلاً لهم هلم يا شعبى أدخل مخادعك واغلق أبوابك خلفك واختبىء نحو لحيظة ... حتى يعبر الغضب . لأنها ساعة دينونة الخطية وعقاب الشيطان ولا نجاة ولا خلاص إلاً فى الإلتجاء إلى الرب والإحتماء فى صليبه خلف الباب الملطخ بالدم أى الإحتماء فى الفصح الذى ذبح من أجلنا .

ثم يعود الرب فى بداية هذا الأصحاح ليعلن عقابه الشديد للحية القديمة الذى هو الشيطان فى يوم الصليب حين سحق الرب الشيطان وكسر شوكة الموت الذى هو أجر الخطية .

١ - فى ذلك اليوم يعاقب الرب بسيفه القاسى الشديد العظيم لوياثان الحية الهاربة لرياثان الحية المتحوية ويقتل التنين الذى فى البحر.

لقد سحق الرب رأس التنين فى مياه الأردن يوم أن اعتمد من

القديس يوحنا السابق، يومها تقدم المسيح فى صفوف الخطاة ـــ كحمل الله حامل خطية العالم ـــ وهو غير الخاطىء يومها قال الرب يليق بنا أن نكمل كل بر ... فهو وحده البار القدوس، وحينما نزل إلى الأردن باتضاعه العجيب سحق رأس التنين على المياه، تماماً كما فى عبور البحر الأحمر يوم إعتمد الشعب لموسى فى السحابة وفى البحر، سحق الرب بذراعه القوية ويمينه المعتزة. فرعون وكل قواته وغاصوا فى المياه كالرصاص ...

وفى يوم الأردن إنكسر فرعون العقلى ـــ التنين القاتل الحية المتحوية أى الحية الملتوية فى طريقها المخادعة فى حيلها، إبليس الخبيث الذى كان من البدء قتالاً للناس.

+ إن يوم الصليب كان يوم عقاب الشيطان، بسيف الرب القاسى العظيم والشديد.

القديس يوحنا الحبيب فى رؤياه. نظر إلى الرب يسوع وكأن سيفاً ماض ذو حدين يخرج من فمه.

سيف الرب هو كلمته.

الكلمة صار جسداً وفى الصليب .. تألم كلمة الله بالجسد تألم مجاناً عوض الخطاة، لم يفعل خطية ولا وُجد فى فمه غش، وقد بغى الشيطان، الحية الهاربة .. وأوغر صدر رؤساء الكهنة فأسلموه

حسداً ، وحرك شهود الزور ، ودبر محاكمات الظلام وجند وحشد كل قواته ... ضد الحق وبلا وجه حق .

وهكذا بلغ بالحية التى خدعت الكل بكل حيل الشيطان وقتلت بسمها كل جنس آدم ، بلغ بها الأمر حتى تجرأت على الحق وتجبرت بوقاحة فصنعت الصليب لتصلب عليه ابن الله ، فصعد على الصليب وقبل الآلام حتى الموت وعندما بلغ إلى الموت ، حطم كل جبروت إبليس وسحق الشيطان إذ لم يكن فى الرب علة للموت ، ولم يكن ممكناً أن يمسك من الموت لأن بذرة الموت لم تكن فيه .. لم يكن الرب من زرع البشر ولم يكن موت الخطية ساكناً فى جسده مثل باقى البشر .

فصلب من أجل خطايانا وقام ببره ، بقوة وعظمة وجبروت إنكسرت شوكة الموت « أين شوكتك يا موت » وإنحطمت أسوار الجحيم « أين غلبتك يا هاوية » .

إنفضحت حيل الشيطان ، قيد بالسلاسل الدهرية .

صار لنا بالمسيح سلطان أن ندوسها ...

حقاً كان يوم الصليب يوم عاقب الرب فيه الحية القديمة بشدة وقوة وجبروت وسحق الشيطان حتى إلى الحضيض .

٢ - فى ذلك اليوم غنوا للكرمة المشتهاة . أنا الرب حارسها أسقيها كل لحظة .

عندما إرتفعت شجرة الصليب فوق جبل الجلجثة ، ضربت جذورها فى الأرض ورواها الدم الزكى فأخرجت أغصانها وأينعت وأنضجت ثمارها هذه هى الصورة النبوية الرائعة التى ترسمها كلمات هذه النبوة .

ثبتت الكرمة حيث الصليب ، كما قال الرب يسوع أنا إن إرتفعت أجذب إلىَّ كل واحد ، مثل حبة الخردل صارت بذرة الإيمان بالصليب يرويها دم المسيح فصارت أعظم جميع الأشجار حتى أن طيور السماء صارت تأوى إليها .

لقد قالها الرب قبل الصليب ... إن حبة الحنطة إن لم تقع فى الأرض وتمت فهى تبقى وحدها ولكن إن ماتت تأتى بثمار كثيرة .

ومن الأمور التى يتعجب منها أن الرب نفسه صار يحرسها و يسقيها كل لحظة .

لأنها مشتهاة ، قال الرب قبل الصليب ، شهوة إشتهيت أن آكل معكم هذا الفصح ... وقال أيضاً إنه لا يشرب من نتاج

الكرم إلى أن يشربه جديداً فى ملكوت أبى « من الكرمة المشتهاة » .

« من تعب نفسه يرى و يشبع » كما هو مكتوب .

+ هى شهوة الآباء ، والأنبياء ... نظروها من بعيد ورأوها وحيوها .

+ هى شهوة الأبرار والصديقين لأنها مسكن الله مع الناس .

+ هى شهوة القديسين لأنهم لا يعودون يخرجون إلى خارج وفوق الكل هى شهوة الرب نفسه إذ يرى عروسه مزينة ومتحدة به التى إقتناها بدمه واشتراها من العالم وهو يحرسها ، بذاته ، بوجوده فيها ، ويحرسها بملائكته « ملاك الرب يحوط بكل خائفيه و ينجيهم ... على أسوارِكِ يا أورشليم أقمت حراساً » .

ويحرسها بأسوار الخلاص وسياج القديسين .

و يسقيها كل لحظة ... لا يكف الروح القدس أن يرو يها ويخصبها ... سواقى الله ملآنة ماء ، و يرو يها بدمه الذى سال من جنبه على الصليب و يسقيها ماء الحياة ، الذى مَنْ يشربه لا يعطش إلى الأبد .

هكذا تكون الكنيسة مغروسة على مجارى مياه الروح القدس فتعطى ثمرها فى حينه وورقها لا ينتثر وكل ما تصنع تنجح فيه .

٣ ـ لئلا يوقع بها أحرسها ليلاً نهاراً .

الشيطان يترصد الكنيسة ، يجول حولها كأسد زائر يلتمس أن يبتلع واحداً ، وطلب أن يُغربل التلاميذ كالحنطة ..

وهو المشتكى على جنسنا ، و يريد أن يوقع بنا .

وليس من سبيل إلى النصرة سوى الإحتماء بالرب فليس فى قدرة الإنسان أن يغلب بذاته ، ،لكن كفايتنا من الله والرب قد سبق وأخبرنا بكل حيل الشيطان وكل غواياته وشكواه لذلك تعهد الكرمة التى غرستها يمينه بالحراسة الدائمة نهاراً وليلاً ، فى نهار الفرح وليل الآلام ... فى الفرج كما فى الضيق نحتاج دوماً إلى حراسة عنايته وعينه الساهرة علينا لئلا يوقع بنا فيقتنصنا العدو لإرادته .

٤ ـ ليس لى غيظ . ليت على الشوك والحسك فى القتال فأهجم عليها وأحرقها معاً .

٥ ـ أو يتمسك بحصنى فيصنع صلحاً معى . صلحاً يصنع معى .

+ الكرمة المشتهاة هى فى مركز الرضى من الرب إذ هى جسده أو عروسه المحبوبة ، لأنه قال « سأدعو غير المحبوبة محبوبة » وقد

عبر الغضب إلى الأبد ، للحظة غضبه وحياة فى رضاه ... عبر الليل عن الكنيسة وأشرق عليها صباح القيامة ، فى العشاء كان البكاء وفى الصباح السرور .

لذلك يقول الرب ليس لى غيظ لأنه قد نسى خطايانا كبعد المشرق عن المغرب ، لأن الغيظ والغضب يكون حيث تكون الخطية « خطاياكم حجبت الخير عنكم » .

أما وقد رفع المسيح خطايانا على الخشبة وقد محا الصك الذى كان علينا فمَنْ يشتكى على مختارى الله ، لقد صرنا مقبولين ولنا جراءة فى كل حين أن نقترب من الله وندعوه أبانا .

أما الشوك والحسك اللذان هما أجرة الخطية وعلامتها الأولى « شوكاً وحسكاً تنبت لك الأرض » فشهوة الرب أن يحرقها معاً يكسر شوكة الموت و يبيد سطوته ، وهكذا فعل الرب يسوع بصليبه حينما حمل إكليل الشوك على رأسه فى يوم القتال العظيم فكسر شوكة الموت بموته .

٥ - أو يتمسك بحصنى فيصنع صلحاً معاً . صلحاً يصنع معى .

+ ما أعجب الرجاء فى شخص ربنا ... حتى للمحسوبين أنهم

أشواك وحسك حتى للذين صاروا من زرع العالم ..

للذين يريدون أن يقاوموا الحق ، و يضادوا الله ، يفتح الرب باب الرجاء .

إنه سيحرق الشوك والحسك بنار غيرته المقدسة ، يجمع الحنطة إلى مخازنه .

فماذا لو رجع الإنسان عن طريقه الردية ؟

إن كل شره الذى عمل لا يذكر كما قال الرب بفم حزقيال النبى تمسك بحصن الرب وصنع صلحاً مع الله ...

إنه يكون قد نجى نفسه من الغضب واقتنى لنفسه سلاماً وحياة إن الله يأمر جميع الناس أن يتوبوا متغاضياً عن أزمنة الجهل . فالآن إما أن يتمسك الإنسان بحصن الرب و يتمتع به و يصير فى سلام مع الله أو يكون نصيبه مع الشوك والحسك تأكله نار لا تطفأ ودود لا يموت .

٦ ـ فى المستقبل يتأصل يعقوب . يزهر و يفرع إسرائيل ويملأون وجه المسكونة ثماراً .

٧ ـ هل ضربة كضربة ضاربيه . أو قتل كقتل قتلاه .

٨ - يزجر إذ طلقتها خاصمتها . أزالها بريحه العاصفة فى يوم الشرقية .

٩ - لذلك بهذا يكفر إثم يعقوب وهذا كل الثمر نزع خطيته فى جعله كل حجارة المذبح كلس مكسرة لا تقوم السوارى والشمسات .

المسيح هو أصل وذرية داود .

وقد قالت النبوة أيضاً يخرج قضيب من جزع يسى و ينبت غصن من أصوله ويحل عليه روح الرب .

فالنبوة تتحدث عن ذرية داود الذى صار أصلاً ورأساً للخليقة الجديدة ، التى هى جسده ملىء الذى يملأ الكل فى الكل .

فى المستقبل ، يتأصل يعقوب ، يمد أصوله إلى أسفل ، يبدأ بالإتضاع ، من المذود ، ثم يزهر وتمتد الفروع من الصليب حتى تملأ وجه المسكونة من ثمار الروح القدس .

الذين لم تسمع أصواتهم إلى أقصاء المسكونة بلغ منطقهم هذا هو إسرائيل الجديد ، الكرمة الحقيقية ، كنيسة العهد الجديد الكائنة من أقصاء المسكونة إلى أقصاها .

برجز إذ طلقتها خاصمتها . أزالها بريحه العاصفة فى يوم

الشرقية لقد قال الرب للشعب القديم أين كتاب طلاق أمكم ...

لأن كنيسة العهد القديم وقعت فى الخيانة والتعدى التصقت بآخر وصارت له .. باعت نفسها للعالم واتحدت بشهواته ففصلت نفسها عن الذى إقتناها ودعا نفسه وليها و بعلها ورجلها .

لذلك تكرر المرات التى خاطبها الرب قائلاً « إرجعى عن زناكِ » وقد دعاها الرب بهذا الاسم البغيض مرات كثيرة على فم الأنبياء وكانت النتيجة للزيغان والذهاب وراء الآلهة الغريبة هو أن الرب يقول « بزجر طلقتها » إذ هو قدوس ولا يتصالح مع الخطية لأنه بلا شر ولا دنس قد إنفصل عن الأشرار وصار أعلى من السماوات.وليس فقط طلقها بمعنى أنه تركها وتخلى عنها ولكنها نالت جزاء محقاً « أزالها بريحه الشرقية العاصفة » كشجرة مهجورة أوصى الغيم أن لا يمطر عليها ونزع سياجها فجاءت عليها رياح الغضب ولفحتها كما للهلاك .

ولكن هل رفض الرب شعبه إلى النهاية ، هكذا يتساءل إشعياء النبى قائلاً هل ضرب الرب إسرائيل كما ضرب غيره من الأمم الذين إعتدوا عليه ؟ أو قتل كقتل قاتليه ؟

هذا السؤال يجيب عليه القديس بولس الرسول فى رسالته إلى أهل رومية اسمعه يقول :

« ألعل الله رفض شعبه ؟ حاشا » .

وقد أكد القديس بولس الرسول أن العداوة حصلت جزئياً لإسرائيل إلى أن يدخل ملىء الأمم وأن البقية ستخلص بحسب وعود الله « وإن كان عدد إسرائيل كرمل الحبر فالبقية ستخلص » (رو٩ : ٢٧) ثم يستطرد أيضاً « ألعلهم عثروا لكى يسقطو .. حاشا بل بزلتهم صار الخلاص للأمم لأغارتهم .. لأنه إن كان رفضهم مصالحة للعالم فماذا يكون اقتبالهم إلاَّ حياة من الأموات » (رو١١) .

هذا هو قلب الله من نحو خلاص الجميع ... أنه يجرح و يعصب يسحق و يداه تشفيان .

لقد فتش وطلب خلاص الأمم البعيدين قائلاً « وجدت من الذين لم يطلبونى وصرت ظاهراً للذين لم يسألوا عنى » .

أما من جهة إسرائيل فيقول بسطت يدى طول النهار إلى شعب معاند ...

ولكن بعد أن يدخل ملىء الأمم يعود فيفتقد إسرائيل و يرد الفجور عن يعقوب .

وهذا هو المستقبل الذى أنبأ عنه إشعياء قائلاً فى المستقبل

يتأصل يعقوب يزهر و يثمر كالزيتونة الأصيلة فى يوم ينزع الرب خطيته التى هى إحتقار المذبح وهدمه كما فى أيام إيليا ، وأقامه الشمسات والسوارى التى كان إسرائيل ملقى تحتها يشارك فى عبادة الأوثان وزنى ورجاسات الأمم .

١٠ ـ لأن المدينة الحصينة متوحدة المسكن مهجور ومتروك كالقفر هناك يرعى العجل وهنا يربض ويتلف أغصانها .

١١ ـ حينما تيبس أغصانها تتكسر فتأتى نساء وتوقدها لأنه ليس شعباً ذا فهم لذلك لاة يرحمه صانعه ولا يتراءف عليه جابله .

من التشبيهات التى وردت كثيراً فى العهد القديم عن شعب الله وكنيسته والجماعة المختارة المعينة والمختصة بالله أنها مدينة الله ، وجبل الله ومسكن الله .

كما شبهت أيضاً بالكرمة والزيتونة والتينة أى الزرع المقدس المختار .

لذلك كانت سكنى المدينة والفرح والرقص والزمر وإمتلاء ساحاتها بالشبان ، والشيوخ وكرامة العذارى ولبسهن الثياب الفاخر .. كانت كلها أمور تشير إلى الغنى الروحى والفرح ووجود الله فى مدينته .

والعكس صحيح فإن تخلى الله عنها كان يشار إليه بخراب المدينة وقتل شبابها بالسيف وهلاك الشيوخ والحكماء وذوى المشورة وحزن النساء وانكسار العذارى .

وعلى هذا القياس أيضاً الثمار والأزهار فى الكرمة والزيتونة يشير إلى إحسان الله ومساندته و وجوده .

بينما الجفاف والحريق وعدم المطر وعدم الثمار يعنى الترك والتخلى والغضب الإلهى .

كما رأى إشعياء إسرائيل القديم ، كزوجة مطلقة أى متروكة رآها أيضاً مدينة خربة إذ رفضت عريسها ولم تقبل الذى جاء يفتقدها مشرقاً من العلاء « إلى خاصته جاء وخاصته لم تقبله » .

الأصل أن تكون الكنيسة مسكناً لله ، والهيكل الجديد الذى هو الكنيسة مسكن مجد الله وحلوله إلى الأبد أما الذين لم يقبلوه فصار كما قال لهم « هوذا بيتكم يترك لكم خراباً » .

لقد كانت مدينة حصينة ومسكناً دعى اسم الله عليه « هيكل الرب » إذ كان لهم التبنى والمجد والعهود والإشتراع والعبادة والمواعيد ولهم الآباء منهم المسيح الكائن على الكل إليها مباركاً .

ولكنهم أخرجوه خارج المحلة وصلبوه رافضين إياه وصرخوا إلى

بيلاطس اصلبه اصلبه .

وصارت المدينة أورشليم الحاضرة مستعبدة مع جميع بيتها .. وبعد أن كانت مدينة الملك العظيم ، صارت متوحدة .. وصار المسكن فيها وهو هيكل سليمان . ضار مهجوراً كالقفر.

لأنه بدون المسيح ماذا يكون الهيكل ؟

وبعد أن كان مسكناً لله يحل فيه بمجده إنشق حجاب الهيكل إلى اثنين .

« هناك يرعى العجل ويربض ويتلف أغصانها »

لما رفضوا المسيح صاروا مسكناً للشيطان ، المشبه بالعجل الذى عبدوه فى البرية قديماً فى أيام موسى حين صنع لهم هارون عجلاً من الذهب وصاروا يرقصون حوله ويقولون هذه آلهتك يا إسرائيل التى أخرجتك من أرض مصر .

فهو يرعى ويربض ويتلف أغصان الكرمة والزيتونة .

التينة التى لعنها الرب يبست من أصولها وحينما تيبس أغصانها تنكسر .

لقد صارت الأغصان يابسة ، لم تعد لها رطوبة النعمة ولا ليونة الحياة جفت تماماً ، لم يعد لها صلة بالعصارة الحية ، صارت وكأنها منفصلة عن أصل الكرمة ودسمها .

قال الرب كل غصن فيَّ لا يأتى بثمر ينزعه .

وقد ناداهم يوحنا المعمدان أن الفأس وضعت على أصل الشجر كل شجرة لا تصنع ثمراً تقطع وتلقى فى النار .

أما القديس بولس فإنه يقول قطعت بعض الأغصان و يرجع هذا إلى عدم الإيمان « بسبب عدم الإيمان قطعت » .

وقد تعنى اليبوسة ، التصلف والكبرياء اليهودى الذى هو دائماً قبل الكسر « قبل الكسر الكبرياء » .

وقد ترجع اليوبسة إلى ريح الغضب اللافحة التى لا سبيل إلى الأغصان إلى إحتمالها عندما يوصى الرب الغيم ألا يظلل الأغصان عليها ولا يمطر عليها بأمطار رحمته وحنانه لسبب العصيان .

وعندما تنكشر الأغصان ، لا تصلح بعد لشىء ، فيكون نصيبها مع عديمى الإيمان فى النار التى لا تطفأ . قال الرب يسوع إن كان أحد لا يثبت فىَّ يطرح خارجاً كالغصن ليجف ويجمعونه و يطرحونه فى النار فيحترق (يو١٥ : ٦) .

والقديس بولس الرسول يجعل من هذا الموضوع تحذيراً شديداً للمؤمنين أنه « قطعت بعض الأغصان لعدم الإيمان وأنت بالإيمان تثبت فى اللطف » . لذلك مَنْ هو قائم فلينظر لئلا يسقط لئلا فيما

نحن ندين الأغصان التى جفت و يبست نوجد نحن أنفسنا فى علة العصيان أو قلة الإيمان أو الكبرياء أو عدم الثبات فى الله

+ أما السبب الجوهرى الذى يورده إشعياء النبى لهذا النصيب التعس لإسرائيل فهو عدم الفهم ... اسمعه يقول :
لأنه ليس شعباً ذا فهم لذلك لا يرحمه صانعه ولا يتراءف عليه جابله .

قال الرب لأورشليم لو علمت أنت أيضاً حتى فى يومكِ هذا ما هو لسلامكِ ؟ ولكن الآن قد أخفى عن عينيكِ (لو١٩ : ٤١) ليس شعباً ذا فهم لذلك لا ينال رحمة ولا يتمتع بالرأفة لم يفهموا مشيئة الله من جهة أنفسهم بل رفضوها .. لم يفهموا ولم يميزوا زمان المسيح ، الذى قال لهم تعرفون أن تميزوا وجه السماء أما علامات الأزمنة فلا تستطيعون (مت ١٦ : ٣) .

ولم يفهموا آياته ومعجزاته وكانوا يعثرون به و يقولون إنه ببعلزبول رئيس الشياطين يخرج الشياطين .

ولم يفهموا إتضاعه ولا مشاركته لنا فى اللحم والدم فقالوا عنه أنه أكول وشريب خمر محب للعشارين والخطاة وأخيراً لم يفهموا خلاصه لأنهم لو عرفوا لما صلبوا رب المجد رغم ما هو مكتوب عنه

فى الناموس والأنبياء والمزامير...

١٢ ـ ويكون فى ذلك اليوم أن الرب يجنى من مجرى النهر إلى وادى مصر وأنتم تُلقطون واحداً واحداً يا بنى إسرائيل .

١٣ ـ ويكون فى ذلك اليوم أنه يضرب ببوق عظيم فيأتى التائهون فى أرض أشور والمنفيون فى أرض مصر ويسجدون للرب فى الجبل المقدس فى أورشليم .

أخيراً كما هى العادة فى نبوات إشعياء نبى الرجاء ، يختتم كلمات الروح بإشراق الرجاء وبشارة الخلاص للبقية المختارة وكأنه الفجر يشرق دائماً بعد حلكة الظلام وكأنه نور القيامة يأتى فى أعقاب مأساة الصليب واختتام القبر.

الرب يجنى : أن عمل الخلاص بالصليب يكون فى ذلك اليوم كجنى القطاف ، وكمثل الحصاد كما قال الرب يسوع : « إرفعوا عيونكم ... الحقول إبيضت للحصاد ... إرسلتكم لتحصدوا ما لم تتعبوا فيه ... آخرون تعبوا وأنتم دخلتم على تعبهم » (يو٤) .

فالنفوس المعينة للخلاصة والتى تستحق هذا النصيب المقدس تكون شهية فى نظر الله كثمر حلو للصليب .

سيجنى الرب حبات الزيتون الباقية فى أغصان الزيتونة العتيقة

حين يفتقدها مرة أخرى بعد أن يدخل ملء الأمم سيجنى الحنطة إلى مخازنه الأبدية أما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ .

+ « من مجرى النهر إلى وادى مصر » .

فى المناطق التى قال الرب لموسى أنها تكون تخوم الأرض التى يعطيهم إياها ، أرض المعياد ، اتى فشلوا أن يسكنوا فيها ويحققوا قصد الله من جهتهم .

سيجنى الرب فى ذلك اليوم ، فى زمن الحصاد المعروف عند الرب وحده ويضم إليه الذين يخلصون ويجمعهم فى حزمة الحياة الأبدية .

+ وأنتم يا بنى إسرائيل تلقطون واحداً واحداً .

أى بالاسم ، كما قيل فى سفر الأعمال « فأمن الذين كانوا معينين للحياة الأبدية » هو إذاً إختيار ، وتعيين بالاسم لميراث الحياة ، لأنه إختارنا فيه قبل تأسيس العالم ، والذين سبق فعرفهم سبق فاختارهم وعينهم فالبقية المختارة من الشعب القديم سيلقطون واحداً واحداً ليدخلوا إلى هيكله الجديد ويصيروا شركاء الطبيعة الإلهية كأعضاء فى جسده الذى هو الكنيسة .

+ ويكون فى ذلك اليوم أنه يضرب ببوق عظيم فيأتى التائهون ...

البوق هو بوق الكلمة هو إنجيل الخلاص وبشارة الحياة الأبدية الذى أعطاه الرب للرسل الأطهار لكى يبوقوا فى المسكونة كلها ويحذروا من الهلاك و يبشروا بالحياة (راجع حزقيال ٣٣) .

+ التائهون فى أرض أشور والمنفيون فى أرض مصر .

إن المسيح يسوع قد جاء لكى يطلب ويخلص ما قد هلك وقد قال بفم حزقيال « أنا أرعى غنمى وأربضها يقول السيد الرب أطلب الضال وأستر المطرود » .

هذا هو الراعى الصالح الذى جاء ينادى للمأسورين بالإطلاق و يرسل المسحوقين إحراراً .

الذين تاهوا متغربين فى أرض أشور ، أرض سبى الخطية وسلطان إبليس .

الذين تغربوا تائهين بعيداً عن أورشليم بلا هيكل وبلا ذبيحة بلا صلاة بخور وبلا تقدمة طاهرة ، أى تغربوا بعيداً عن الله تائهين فى العالم فى مسالك الشر تجرى أقدامهم إلى سفك الدم ، فإن الرب يهدى خطواتهم باستعداد إنجيل السلام و يقودهم فى موكب نصرته .

والمنفيون فى أرض مصر نفى شهوات اللحم والدم ، شهوات قدور اللحم والكرات وقد وقعوا فى عبودية فرعون العقلى يرزحون فى عمل الطين مذلولين كل يوم إلى هؤلاء وأولئك نادى الرب ببوق الكرازة ليجمع أبناء الله المتفرقين إلى واحد ويجمع منفيى إسرائيل ويجبر جميع كسر منكسرى القلوب .

+ كل هؤلاء « يأتون و يسجدون للرب فى الجبل المقدس فى أورشليم » .

قال الرب للسامرية تأتى ساعة وهى الآن حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق لأن الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين له (يو٤ : ٢٣ ، ٢٤) .

سيجمع الرب أبناء الله المتفرقين إلى واحد ، فيأتون و يسجدون بالروح الواحد على جبل الله المقدس فى أورشليم الجديدة ، لا كالسجود الذى كان يقدم بالجسد ، بل السجود القلبى الذى يسر الآب وليس مرتبطاً بمكان مادى ولكن صارت الكنيسة ــ جبل الله ــ ومدينة الله ــ كائنة من أقصاء المسكونة إلى أقصاها .

الأصحاح ٢٨

١ - ويل لإكليل فخرى سكارى أفرايم وللزهر الذابل جمال بهائه الذى على رأس وادى سمائن المضروبين بالخمر.

٢ - هوذا شديد وقوى للسيد كانهيال البرد . كنوء مهلك كسيل مياه غزيرة جارفة قد ألقاه إلى الأرض بشدة .

٣ - بالأرجل يداس إكليل فخرى سكارى أفرايم .

٤ - ويكون الزهر الذابل جمال بهائه الذى على رأس وادى السمائن كباكورة التين قبل الصيف التى يراها الناظر فيبلغها وهى فى يده .

كان إشعياء النبى قد أكمل ما يقرب من عشرين سنة من بدء نبوته ، وكانت محاصرة سنحاريب ملك أشور لأورشليم فى أيام حزقيا ملك يهوذا وشيكة الحدوث وقد صارت الصور وهى تقترب من بعيد أكثر وضوحاً أمام ناظرى إشعياء فنطق بهذه النبوات كبوق أخير لعله يثير إنتباه الغافلين الذين شبههم فى نبواته بالسكارى المترنحين من الخمر الذين لا ينفعهم الإنذار ولا يسترعى

إنتباهم شيء حتى يداهمهم الخطر كالمخاض للحبلى فلا ينجون كما قال الرب .

١ - ويل لإكليل فخر سكارى أفرايم .

عنده بداية دينونة الخطية يبتدئها إشعياء النبى بالكلمة القاسية « ويل » إذ قـــد مضى زمان التراءف والمراحم وكأن الباب قد أغلق ... ما أشبه هذا بما قاله الرب عن مجيئه الثانى المخوف فيوم الدينونة ــ على المستوى الحسى والمادى ــ كما كابده إسرائيل يوم إفتقاد خطاياه ... « يوم شديد وقوى كأنهيار البرد ، كنوء مهلك ، كسيل مياه غزيرة جارفة » لا سبيل للإنسان مهما كانت قوته أن يواجه مثل هذه الأهوال والمخاوف .

+ تبدأ الكرامة بتتويج الهامة بأكاليل المجد ، ويبدأ الهوان بنزع الأكاليل هكذا تبدأ الويلات على إكليل الفخر الذى على رأس أفرايم (أى مملكة إسرائيل) فالملك والكاهن والنبى ، هم رأس الشعب فى إسرائيل والذى يقلب صفحات التاريخ المقدس يجد عجباً فمتى تألفت أرواح الملك والكاهن والنبى فى الخضوع لوصايا الرب وأحكامه إنحدرت الخيرات والرضى على الشعب كله وتم قول الرب إن أرضت الرب طرق إنسان جعل حتى أعداءه يسالمونه وعلى العكس متى إغتر الملك بالسلطان وتاه الكاهن وراء

المكاسب الزمنية وخضع النبى لروح العالم ، تنهال المصائب تباعاً عن الشعب كله وتسرى روح الزيغان عن الرب إلى القطيع السكين .

لذلك بدء الدينونة يكون من المقدس والذين أودعوا كثيراً يطالبون بالأكثر .

+ سكارى ...

أحرى بنا أن نسمع قول الرب « إحترزوا لأنفسكم لئلا تثقل قلوبكم من خمار وسكر وهموم الحياة فيصادنكم ذلك اليوم بغتة » (لو٢١ : ٣٤) .

لقد فقدوا الحس ، والوعى الروحى ، غرتهم الأباطيل الكاذبة فظنوها أموراً دائمة ، ولفتهم الهموم الوهمية كأنها حق واقع والحال ليس كذلك ، لأنها باطل الأباطيل وقبض الريح لذلك إنفصل الذهن الواعى عن النظر فصاروا يحيون بالحسى الخارجى ،أما الإدراك القلبى فقد غابوا عنه .. لذلك أسماهم سكارى .. ولكن يا للحسرة إن لحظة الإفاقة يعتصر القلب بالألم ولكن وقتها لا ينفع الندم و يطول البكاء وصرير الأسنان .

+ ألم يلهو بيلشاصر الملك حينما صنع وليمة عظيمة لعظمائه

وشرب خمراً ، حين أخرج آنية بيت الرب ، وقتها كتبت اليد الخفية على مكلس الحائط إن الرب أحصى ملكه وأنهاه وأنه وزن بالموازين الإلهية فوجد ناقصاً ، وانتهى بيلشاصر فى تلك الليلة .

+ ما أبعد الذين ينتمون إلى العالم و يتحيزون له ، و يعتبرون أن تنعم يوم لذة ، ما أبعدهم عن الواقع المر الذى ينتظرهم إنهم حقاً سكارى فى كل أفراحهم وأيامهم التى يعيشونها ستنتهى لا محالة كما يفيق السكران فيتبدد فرحه وتذهب نشوته و يصطدم بالواقع الأليم .

+ الزهر الذابل جمال بهائه ...

كل إنسان كعشب ، وكل مجد الإنسان كزهر العشب ، العشب يبس وزهره سقط .

يا لخيبة الأمل فهى تأتى على الذين يعتبرون مجد العالم أنه شىء-الغنى ، البهاء ، المراكز ، والمقتنيات والجسد وشهواته ... إنه كزهر العشب ... إن نظره إلى الوراء عشرات السنين تثبت ذلك تماماً ، وكمثلها إذا نظرنا عشرات السنوات إلى الأمام ماذا سيكون حالنا ... « جيل مضى وجيل يجىء ... كما كان وهكذا يكون ... » .

ولو كان مجد العالم قد دام للذين من قبلنا ، لصار نافعاً لنا ولكن هيهات ... إنه زوال ... إنه قبض الريح كما قال الحكيم .

على رأس وادى سمائن المضروبين بالخمر .

لقد سمن الوادى وكثر ثمره وخيره مثل الرجل الذى اخصبت كورته فانتفخت نفوسهم بالخير الزمنى ... أفرايم تَسمِنَ ، وسَكِرَ ولم يدركوا الكلمة التى قالها الرب لذلك الغنى الغبى « إن الليلة تطلب نفسك منك ، الذى أعددته لمَنْ يكون » .

كان الرجل سكراناً بالنجاح ، نشواناً بكثرة الخيرات وفى سكره نظر إلى ذاته وكأن له خيرات كثيرة موضوعة لسنين عديدة .

إنه غارق فى أحلام ... مضروب بالخمر ، فكانت نظرته التفاؤلية فى غير موضعها ، إنه فاقد التوازن هوذا مجدهم كزهر ذابل ولكنهم متكلون على كلام الكذب وخيالات اللاوعى ، يفتخرون فى تعظمهم ، لذلك لم يسمعوا صوت الرب ولم يميزوا إنذرا القدير لذلك جاءت دينونتم هكذا أنه يداس إكليل الإفتخار هذا و يسقط الزهر الذابل إلى التراب .

٣ ـ بالأرجل يداس إكليل فخر السكارى أفرايم .

ماذا تكون دينونة إكليل الفخر الكاذب المرتفع بغش الكبرياء

إلاَّ أن يداس بالأرجل مثل دينونة كبرياء فرعون فى البحر الأحمر ، ومثل دينونة شيحون ملك الأموريين وعوج ملك مدينة باشان ، ومثل دينونة جليات المجدف والمعير لصفوف الله الحى ، حين انطرحت هامته إلى التراب وفنى مجده فى لحظة خاطفة .

+ و يكون الزهر الذابل ... كباكورة التين قبل الصيف ... لا تشبع ولا تغنى ، مجرد منظر يشتهيه الناظر من بعيد ، وهو فى حقيقته لا يثبت ولا يدوم .. إنه مجد دنيوى زائل ، وافتخار عالمى باطل ... ينفضح فى يوم الدينونة وافتقاد الأعمال .

٤ ـ فى ذلك اليوم يكون رب الجنود إكليل جمال وتاج بهاء لبقية شعبه .

٥ ـ وروح القضاء للجالس القضاء ، وبأساً للذين يردون الحرب فى الباب يكون الرب للبقية .

١ ـ إكليل جمال :

إن يوم دينونة الخطية ، هو يوم الخلاص .

و يوم أن يداس إكليل فخر السكارى ، و يذبل المجد الباطل يستعلن فى الحال المجد الأبدى و يظهر الجمال والبهاء الحقيقى .

هذا هو مضمون كلمات هذه النبوة .

إن داود النبى عندما قال فى المزمور أن الرب قد ملك على خشبة (الصليب) قال أن الطهر والجمال العظيم فى قدسه وأن الجلال والبهاء قدامه (مز٩٥) .

لقد حمل الرب يوم الصليب إكليل الشوك وحمل هو فى جسده عقاب خطايانا لنصير نحن بر الله فيه وعوض إكليل الشوك فإنه يكلل محبيه بالكرامة .

وقد صار الرب نفسه هو الإكليل ، وهو رأس الكنيسة ومجدها وهو باكورة الراقدين ، والبكر من الأموات . الذين قبلوه ، المختارون صار لهم نعمة وخلاصاً وغفراناً للخطايا ، وإكليل جمال وتاج بهاء ، لأنه هو أبرع جمالاً من بنى البشر ، وهو بهاء مجد الآب ورسم جوهره وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته .

٢ ـ روح قضاء :

+ ليس فقط تاج جمال وإكليل بهاء ، بل أرسل روحه القدوس فى يوم الخمسين لقضاة المسكونة ـــ الرسل الأطهار ـــ فحل عليهم مثل ألسنة نار ، روح الاحراق ، روح الحكمة

والمشورة ، روح المعرفة والافراز، روح القداسة والعدالة والسلطان وقد قال الرب لرسله القديسين « تجلسون على إثنى عشر كرسياً تدينون أسباط إسرائيل الإثنى عشر » .

وقد أعطاهم السلطان « كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطاً فى السماوات وما حللتموه على الأرض يكون محلولاً فى السموات » .

٣ ـ بأساً للذين يردون الحرب :

+ وأيضاً يكون الرب فى يوم الخلاص عزاً وقوة و بأساً وجبروتاً للذين يحاربون حروب الرب و يردون الحرب إلى الباب كما يقول المزمور « حينئذ لا يخزون إذا ما كلموا أعدائهم فى الأبواب » لقد صار الرب قوتهم « قوتى وتسبحتى هو الرب وقد صار لى خلاصاً » لأن الصليب هو قوة الله ، وبه سحق الرب قوة المعاند، وأمام الصليب يهرب الشيطان ، وبإشارة الصليب ترتد حروب الشياطين وفخاخهم و ينكسر سلاحهم و يرجعون بخزى .

٦ ـ ولكن هؤلاء أيضاً ضلوا بالخمر وتاهوا بالمسكر. الكاهن والنبى ترنحا بالمسكر. ابتلعتهما الخمر، تاها من

المسكر ضلا فى الرؤيا قلقا فى القضاء .

الكاهن ، المؤتمن على الشريعة ، من فمه تطلب لأنه رسول رب الجنود والكاهن شفيع يقرب قرابين وذبائح عن الشعب .

والكاهن خادم الأقداس أى كارز بالقداسة ومتمسك بها .

والكاهن مفرز ومكرس لم يأخذ نصيبه من الميراث الأرضى حين قسموا الأرض لأن الرب هو نصيبه ، يأكل من الأقداس ، والعشور ، يلازم المذبح ومن المذبح يأكل وهكذا النبى ، إنسان ملهم ، يسلك بالروح ، ويقتاد بالروح ويحمله الروح ، ويخبره بأمور آتية .

النبى فى وسط الشعب كمثل السراج المنير فى موضع مظلم فلو أن إنساناً أخطأ فإن الكاهن يصلى من أجله ، فإن أخطأ الكاهن فمَنْ يصلى عنه ...

وإن زاغ الشعب فإن النبى ينذره ويوبخه فإن زاغ النبى فماذا يكون بعد ؟

حتى هؤلاء ، الكاهن والنبى ؟ اللذين ائتمنهما الرب على قطيعه ؟ ..

دخل العالم بالغواية إلى الجميع .. ابتلعهما فتاها فى طريق غير

مستقيم ، اظلمت العين عن الرؤيا الإلهية ، لأن العين شبعت من الأ باطيل أما القضاء والأحكام والشريعة فلا مكان لها مع إنسان مترنح بخمر العالم وسكره .

٨ ـ فإن جميع الموائد إمتلأت قيئاً وقذراً . ليس مكان .

موائد القضاء ، إمتلأت رشوة ، ومحاباة ، وصار عليهم ظلم الفقير واليتم والأ رملة ، وابتلع حق الضعيف .

موائد الكهنة فى الهيكل صارت للتجارة والإهتمامات المادية كأنها موائد الصيارفة .

إنها أشياء قبيحة ومكروهة جداً .

+ ليس مكان للحق ، وليس مكان للروح والحياة ، والقداسة وإن صح التعبير ليس مكان لله « ابن الإنسان ليس له أن يسند رأسه » .

لذلك عندما دخل الرب يسوع الهيكل ورآه على هذه الحال الأسيفة ، قلب موائد الصيارفة وطرد باعة الحمام وقال كلمته الإلهية المكتوبة لهم قديماً « بيتى بيت الصلاة يدعى وانتم جعلتموه مغارة للصوص » .

إن كان افرايم قد وصل إلى هذه الحالة المهينة من التسفل إلى

التراب والإنحياز إلى العالم والسكر بخمار الدنيا وإهتمامات الجسد ، وإن كان حتى الكاهن والنبى قد ترنحا بالخمر وتاها عن القضاء ومعرفة الشريعة وامتلأت موائدهما قذراً وقيئاً .

إذ صار الحال كذلك يتساءل النبى قائلاً :

٩ ـ لمَنْ يُعَلِّم معرفة ولمَنْ تُفهم تعليماً ؟

وهذه هى نفس الصيغة التى بدأ بها إشعياء الأصحاح الشهير لآلام المسيح (إش ٥٣) قائلاً :

« يارب مَنْ صدق خبرنا ولمَنْ إستعلنت ذراع الرب » .

فهو هنا يقول متعجباً ، إذن مَنْ يعلم ويعرف مَنْ يفهم ويستوعب كلمات الرب وإنذاراته ؟

ليس من فاهم ولا سامع ولا عارف إرادة الرب .. ليس بار ليس ولا واحد ...

ثم يعود إشعياء النبى فيضيف قائلاً :

أ للمفطومين من اللبن للمفصولين عن الثدى !!

هل توجد هذه العينة بين الشعب ؟!!

الذين تشبهوا بقول داود « فإن كنت رفعت صوتى مثل الفطيم من اللبن على أمه كذلك المجازاة على نفسى » لأنه لا يسمع صوت الرب إلاّ المفطومين من العالم الذين قطعوا صلتهم

بالملذات العالمية والشهوات الردية .

الذين فصلوا أنفسهم عن ثدى العالم لكى يشبعوا من ثدى تعزيات الروح القدس .

إذ يستحيل على الذين مازالوا ملتصقين بالعالم ، وغير المفطومين أن يذوقوا تعزيات الروح ولا يفطنوا لكلمة الخلاص .

١٠ ـ لأنه أمر على أمر ، أمر على أمر ، فرض على فرض ، هنا قليل هناك قليل .

لقد صارت تكراراً مملاً ، وأوامر وفروض تليها أوامر وفروض ، لقد استعفوا من المتكلم ورفضوا أن تزاد لهم كلمة ..

كما ملّ الشعب فى القديم التقاط المن النازل من السماء وأكله وقالوا قد كرهت نفوسنا هذا الطعام السخيف !! ولم يعلموا أن الرب بهذا التكرار وطول الأناة واللطف إنما يجدد فرص التوبة والرجوع ، وهو ينادى لا مرة ولا مرتين بل مرات ومرات ، لكى يفيق الذين سكروا من الخمر وترنحوا من المسكر ، هؤلاء يبكتهم كلام الرسول بولس « أم تستهين بغنى لطف الله وامهاله وطول أناته غير عالم أن لطف الله إنما يقتادك إلى التوبة ولكنك من أجل قساوتك وقلبك غير التائب تدخر لنفسك غضباً فى يوم الغضب

واستعلان دينونة الله العادلة » (رؤ٢ : ٤ ، ٥) .

١١ ـ إنه بشفة لكناء وبلسان آخر يكلم هذا الشعب .

لقد تكلم الرب مع شعبه بشفتى إشعياء وحب ولطف وصار لسانه قلم كاتب ماهر يصف لهم مَنْ هو أبرع جمالاً من بنى البشر و يكرز بعمانوئيل رئيس السلام وأزمنة المسيا إله الخلاص . ولكن لمَنْ ؟ أ للغارقين فى خطايا وشرور ؟ أم للسكارى بخمر العالم ؟

لذلك يعود الرب فيقول إنه سيكلمهم بشفة لكناء ، وبلسان آخر بلسان سنحاريب ملك أشور ولسان ربشاقى رئيس الجند فى الحصار ، بعد أن رفضوا كلام الرحمة والحب والتوبة والرجوع لم يبق سوى لسان الدينونة وكلمات العقاب

+ الذين قسوا قلوبهم وهو ينادى إرجعوا إلىَّ أرجع إليكم يقول الرب«سيسمعون فى النهاية الصوت « اذهبوا عنى يا ملاعين ... » .

+ الذين لم يسمعوا صوته الحنون يقول « افتحى لى يا حبيبتى لأن شعرى إمتلأ من الطل وقصصى من ندى الصبح » ولم يحننوا قلوبهم نحو جراحاته وإكليل شوكه ... سيغلق من دونهم الباب و يقولون ياربنا ياربنا افتح لنا فيجيب و يقول الحق أقول لكنَّ إنى ما أعرفكن .

لينا نعتبر فنسمع صوته ولا نقسى قلوبنا فنفوز برحمته ولا يكلمنا بلسان آخر.

١٢ ـ الذين قال لهم هذه هي الراحة أريحوا الرازح وهذا هو السكون ولكن لم يشأوا أن يسمعوا .

١٣ ـ فكان لهم قول الرب أمراً على أمر ، أمراً على أمر ، فرضاً على فرض ، فرضاً على فرض ، هنا قليلاً هناك قليلاً ، لكي يذهبوا ويسقطوا إلى الوراء وينكسروا ويصادوا فيؤخذوا .

لقد قال لهم الرب عن الراحة والسكون ، والقديس بولس الرسول يؤكد لنا أن الوعد بالراحة مازال قائماً لنا ولكن ليس مكان راحة أرضي وميراث ترابي .

« فلنخف أنه مع بقاء وعد بالدخول إلى راحته يرى أحد منكم أنه قد خاب منه » (عب ٤ : ١) .

ويؤكد أيضاً أن كلمة الخبر والكرازة لم تنفع هؤلاء لعدم الايمان ...

ويقول إذاً بقيت راحة لشعب الله ... فلنجتهد أن ندخل تلك الراحة (عب ٤) .

أما من ناحية السكون ــ الذى يشير إلى الهدوء والوداعة ... فقد رذل الشعب مياه شيلوه الجارية بسكوت وسروا برصين و بن رمليا كما هو مكتوب (راجع تفسير الأصحاح ٨) .

ولكنهم لم يشأوا أن يسمعوا ... هذا هو أصل الداء ، إن الإرادة منحرفة والأهداف صارت غير سماوية ، فكيف يسمعون الصوت الإلهى ؟ والنتيجة المؤسفة لعدم طاعة الصوت الإلهى أنهم يسقطوا إلى الوراء و ينكسروا و يصادوا ، فيؤخذوا وكلها أفعال مخيفة ــ حتى على مستوى الواقع المادى ــ فلم يكن الحال فى قبول دينونة مخيفة وهلاك الناس الأشرار ؟!!

١٤ ـ لذلك اسمعوا كلام الرب يا رجال الهزء ولاة هذه الشعب الذى فى أورشليم .

١٥ ـ لأنكم قلتم قد عقدنا عهداً مع الموت وصنعنا ميثاقاً مع الهاوية السوط الجارف إذا عبر لا يأتينا لأننا جعلنا الكذب ملجأنا وبالغش إستترنا .

١٦ ـ لذلك هكذا يقول السيد الرب هأنذا أؤسس فى صهيون حجراً حجر إمتحان حجر زاوية كريماً أساساً مؤسساً مَنْ آمن به لا يهرب .

قال الحكيم « الخمر مستهزئة » ... فالذى يشرب الخمر يصير مستهزئاً لأنه يفقد وعيه و يأتى أعمالاً غير كريمة و يصغر فى نظر الناس .

أما ولاة أورشليم فصاروا فى عرف الروح رجال هزء لأنهم إتخموا من غرور العالم وغناه وصاروا سكارى بغير خمر لذلك يخاطبهم الروح « كرجال الهزء » وقد قيل فى المزمور طوبى للرجل ... الذى فى مجلس المستهزئين لم يجلس فلا موضع لرجل كامل حافظ لوصايا الله فى وسط ولاة أورشليم !

لقد صنعوا عهداً مع الموت وميثاقاً مع الهاو ية !! والأصل أنهم مدعوون أن يصنعوا عهداً مع الحياة ... لقد كتب قديماً « ها قد جعلت أمامك طريق الحياة وطريق الموت إختر الحياة فتحيا » ولكنهم فضلوا الموت على الحياة ، والهاو ية على الملكوت ، وانحازوا للشيطان ...

قال الرسول يعقوب « مَنْ أراد أن يكون محباً للعالم فقد صار عدواً لك » .

وقد أوهمهم الشيطان أنهم بإنحيازهم للعالم يصيرون فى أمان من النكبات وفى مأمن من السوط الجارف ... ولكن هذا كذب .

فالذين ينحازون للعالم يحرقهم العالم يحرق أجسادهم يبدد قوتهم ، فكيف يستطيع الشيطان أن يخلص تابعيه ... أو يعدهم بالحرية وهو ذاته مقيد بسلاسل أبدية .

إنها خدع الشيطان فى كل جيل ، ولكن ليكن معلوماً أنه لا خلاص ولا حياة ولا حرية ولا أبدية سوى بالمسيح يسوع لذلك نطق إشعياء فى الحال معلناً عن صخر الدهور ، حجر العثرة وصخرة الشك للذين يهلكون ، كل مَنْ سقط عليه يترضض ومَنْ يسقط عليه هو يسحقه .

ولكن للمبنين على أساسه وللمختارين فيه ، فهو لهم صخر الدهور الذى لا يخزى المتكلين عليه « ومَنْ آمن به لا يهرب » .

هذا هو الحجر الذى رذله البناؤون ... وقالوا أصلبه ، ومن البدء لم يسمعوا كلمته بل قالوا عقدنا عهداً مع الموت .

لأننا جعلنا الكذب ملجأنا وبالغش إستترنا .

إن الشيطان هو الكذاب وأبو الكذب كما قال ربنا. أولاد الله يقولون بفم داود « جعلت العلى مسكنك فلا تصيبك الشرور ولا تدنو ضربة من مسكنك » .

فهم يسكنون فى ستر العلى وفى ظل الإله القدير يبيتون (مز ٩١) .

فالرب هو الصخر والملجأ ، الحصن المنيع الذى يلجأ إليه الصديق و يتمتع ولكن رجال الهزء فى غمرة الإستهتار إتكلوا على الكذب واستتروا بالغش ، وهو فى الواقع ليس ستراً بل فضيحة وعار .

١٧ ـ وأجعل الحق خيطاً والعدل مضماراً فيخطف البرد ملجأ الكذب ويجرف الماء الستارة .

١٨ ـ ويمحى عهدكم مع الموت ولا يثبت ميثاقكم مع الهاوية ، السوط الجارف إذا عبر تكونون له للدوس .

١٩ ـ كلما عبر يأخذكم فإنه كل صباح يعبر فى النهار وفى الليل ويكون فهم الخبر فقط إنزعاجاً .

الرب يسوع بظهوره ـــ كحجر الزاوية للمفديين ـــ أبطل عمل الشيطان ، وبروح الحق الروح القدس ـــ أباد روح الكذب والغش والخداع وكل نجاسة فحجر الأساس فى البناء الجديد ، هو الرب يسوع وروح الحق هو الخيط المطمار الذى يحفظ الحجارة الحية المبنية فى إستقامة ووحدانية .

+ هنا إنفضح الشيطان ، وستارة الكذب والغش تبددت ، قال ربنا يسوع الآن دينونة رئيس هذا العالم ، الآن يطرح رئيس

هذا العالم خارجاً .

ومرة أخرى قال رأيت الشيطان ساقطاً من السماء مثل البرق .

أما الذين إحتموا به وربطوا نفوسهم فى عهد عم الشيطان فإنهم سيكابدون عقاباً أبدياً .

يكون فهم الخبر إنزعاجاً :

عندما تكلم رب المجد يسوع عن ظهوره الثانى المخوف ودينونة الخطية قال إن الناس يغشى عليهم من هول ما يكون ، والخطاة يقولون للجبال إسقطى علينا وللآكام غطينا ولكن هيهات فستر الكذب وملجأ الغش لا يستطيعان أن يستراهم فى يوم الرب العظيم والمخوف .

٢٠ ـ لأن الفراش قد قصر عن التمدد والغطاء ضاق عن الإلتحاف .

٢١ ـ لأنه كما فى جبل فراصيم يقوم الرب وكما فى الوطاء عند جبعون يسخط ليفعل فعله ، فعله الغريب وليعمل عمله ، عمله الغريب .

٢٢ ـ فالآن لا تكونوا متهكمين لئلا تشد ربطكم لأنى سمعت فناءً قضى به من قبل السيد رب الجنود على كل الأرض .

لقد سمع إشعياء من فم الرب حكم القضاء وفناء الأشرار وهو يعلم علم اليقين أن الرب لا يخلف وعده وأنه لا يتباطأ وأن السماء والأرض تزولان ولكن كلامه لا يزول .

ولكن رجال الهزء لم يكتفوا بالسكر بخمار العالم بل صاروا يتهكمون باستهتار ووقاحة على كلمة الرب . وقد كمل فيهم قول القديس بطرس الرسول « سيأتى فى آخر الأيام قوم مستهزئون سالكين بحسب شهوات أنفسهم وقائلين أين هو موعد مجيئه » (٢ بط ٣ : ٣، ٤) .

+ لهؤلاء يقول إشعياء النبى لا تكونوا متهكمين لئلا تشدد ربطكم لأن التهكم والاستهتار سيزيد عليهم الضربات ويشدد عليهم الرباطات والسلاسل التى سيوثقوا بها عندما يحل عليهم الغضب .

الفراش قصر عن التمدد :

وعندما وصف إشعياء حال الواقعين تحت الدينونة أورد هذا

التشبيه العجيب كمثل إنسان على سرير قصير فلا يستطيع أن يمدد ذاته وحتى الغطاء ضاق عن الإلتحاف ، فلا هو ينعم براحة ولا بدفء و يصير فى تعب وحيرة وقلق ولكن لا سبيل إلى الخروج منها ، إنها ورطة ومرارة نفس وو يل .

+ أما عمل الله « عمله الغريب ، وفعله الغريب » .

فهو مستغرب فى أعين غير المستعدين ، وغير المتوقعين وغير السهارى إذ يكونون فى حيرة وربكة لا مثيل لها .

على عكس المستعدين والمتوقعين والخلاص الذين يفرحون و يرفعون رؤوسهم لأن نجاتهم تقترب .

أما هؤلاء فإنه يفاجئهم الهلاك بغتة كالمخاض للحبلى فلا ينجون .

٢٣ ـ اصغوا واسمعوا صوتى إنصتوا واسمعوا قولى .

٢٤ ـ هل يحرث الحارث كل يوم ليزرع ويشق أرضه ويمهدها .

٢٥ ـ أليس أنه إذا سوى وجهها يبذر الشونيز [١] ويذرى

(١) الشونيز : نبات بذره يسمى حبة البركة .

الكمون ويضع الحنطة فى أتلام والشعير فى مكان معين والقطانى فى حدودها .

٢٦ - فيرشده بالحق يعلمه إلهه .

٢٧ - إن الشونيز لا يُداس النورج ولا تدار بكرة العجلة على الكمون بل بالقضيب يخبط الشونيز والكمون والعصا .

٢٨ - يدق القمح لأنه لا يدرسه الابد فيسوق بكرة عجلته وخيله لا يسحقه .

٢٩ - هذا أيضاً خرج من قبل رب الجنود عجيب الرأى عظيم الفهم .

إذ صار الشعب فى بلادة الذهن بسبب الخطايا كان لابد للرب الإله أن يتوسط بمثل ، لأنهم صاروا « لهم آذان ولا يسمعون » وقد كلمهم الرب بما هو مألوف فى حياتهم اليومية فى الزرع والحصاد وما يعتبر عندهم قواعد ثابتة ونظم لا تخالف .

فهم يعلمون جيداً أنه للزرع وقت ولقلع الزرع وقت لبذر البذور وقت وللحصاد وقت .

فإن كان هكذا مع نبات الأرض ، فهو لابد أنه يحدث أيضاً

مع الإنسان حينما يفتقده صانعه وفى حديث ربنا يسوع عن نهاية العالم ، شبه ذلك الوقت بالحصاد ، (مثل زوان الحقل) وقال « الحصاد هو إنقضاء العالم والحصادون هم الملائكة » (مت ١٣ : ٣٦) .

فكما يميز الزارع بين نبات وآخر فى طريقة الزراعة وفى ميعاد الحصاد وطريقته ، هكذا يكون فى وقت الدينونة .

فيجمع الحنطة المكرمة إلى المخازن الأبدية ، وأما التبن فيحرقه بالنار فإن كان هذا التميز عند الزارع هو من الله « يرشده الحق يعلمه إلهه » فالذى يعلم الزارع ألا يميز أولاده ومختاريه فى يوم الحصاد « فلا يسحقهم » ؟!!

إنه عجيب الرأى عظيم الفهم ، لأنه مَنْ عرف فكر الرب ، ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء .

الناشـــر



المراسلات / ص . ب : ١٧
الابراهيمية - اسكندرية

